

جامعة القدس المفتوحة
عمادة البحث العلمي

البيزنطيون والسلطان صلاح الدين الأيوبي
581-589 هـ/ 1185 - 1192 م
ومواجهة الحملة الصليبية الثالثة

Charles M.Brand

تشارلز م. براند

ترجمه بتصرف وعلّق عليه:

د. جلال حسني عبد الحميد سلامة

جامعة القدس المفتوحة

البيزنطيون والسلطان صلاح الدين الأيوبي ومواجهة الحملة الصليبية الثالثة

د. جلال حسني سلامة

رام الله - فلسطين

1439 هـ/ 2018م

ISBN 978-9950-404-05-2





البيزنطيون والسلطان صلاح الدين الأيوبي

581 -589 هـ/ 1185 -1192م

ومواجهة الحملة الصليبية الثالثة

تشارلز م. براند *Charles M. Brand*

ترجمه بتصرف وعلّق عليه:

د. جلال حسني عبد الحميد سلامة





البيزنطيون والسلطان صلاح الدين الأيوبي
581 - 589 هـ/ 1185 - 1192 م
ومواجهة الحملة الصليبية الثالثة

تشارلز م. براند Charles M. Brand

ترجمه بتصرف وعلّق عليه:

د. جلال حسني عبد الحميد سلامة

أستاذ مشارك في تاريخ العصور الوسطى | جامعة القدس المفتوحة

الناشـر:

عمادة البحث العلمي

جامعة القدس المفتوحة

البالوع رام الله والبيرة/ فلسطين

ص. ب: 1804

هاتف: 2 /2411161 -2 -970+

فاكس: 2411163 -2 -970+

بريد الكتروني: *sprgs@qou.edu*

تصميم وإخراج فني:

عمادة البحث العلمي

جامعة القدس المفتوحة




البيزنطيون والسلطان صلاح الدين الأيوبي
581 -589 هـ / 1185 -1192 م
ومواجهة الحملة الصليبية الثالثة

تـشـارلـز م. بـراند ***Charles M. Brand***

ترجمه بتصرف وعلّق عليه:

د. جلال حسني عبد الحميد سلامة



المحتويات



الإهـــداء

إلى روح أستاذيّ

الأستاذ الدكتور مصطفى الحياري

الذي تتلمذت على يديه في الجامعة الأردنية

وروح الأستاذة الدكتورة علية الجنزوري

التي تتلمذت على يديها في جامعة عين شمس

رحمهما الله رحمة واسعة

وجعل مثواهما جنات الخلد والنعيم

المترجم



شكر وتقدير

بعد الحمد والمنّة، الذي مكنني من إنجاز هذا العمل، يطيب لي أن أشكر

كل من أعانني بتشجيع وتحفيز أو بمراجعة وتدقيق ومتابعة نشر

إلى الأستاذ الدكتور يونس عمرو / رئيس جامعة القدس المفتوحة

إلى الأستاذ الدكتور يوسف ذياب عواد / مدير فرع نابلس

إلى الأستاذ الدكتور حسني عوض / عميد البحث العلمي

إلى الأستاذ الدكتور سعيد البيشاوي

إلى الدكتور حسن أبو الرب

إلى التي وقفت إلى جانبي منذ 18 عاماً

ولا تزال تقف بوفائها وإخلاصها.. زوجتي لينا

إلى كل من مدّ لي يد العون

كل الشكر والتقدير



المترجم

مقدمة

تعود جذور العداء والكراهية بين الجانبين اللاتين الكاثوليك في الغرب والبيزنطيين الأرثوذكس في الشرق إلى القرن الرابع الميلادي، ففي هذه الفترة التاريخية كان أباطرة روما قد بدأوا بمغادرة روما وهجرها إلى الشرق[1]، الذي ازداد تأثيره شدة باعتناق الإمبراطور قنسطنطين الكبير Constantius للديانة المسيحية الشرقية، وما صاحبها من عملية نقل لعاصمته ناحية الشرق إلى بيزنطة الواقعة على ضفة مضيق البوسفور، فحلت بذلك محل روما وتفوقت عليها[2].

وإلى جانب ذلك، زادت الاختلافات اللغوية والمذهبية الوضع توترا وتأزما بين اللاتين والبيزنطيين الذين كانوا يعدّون أنفسهم بحكم صفتهم ونقلتهم النوعية الجديدة امتدادا وورثة للإغريق (اليونان) القدماء وحضارتهم التي وصلت إلى أوج قوتها وعظمتها. ولهذا نجد أن الإمبراطورية البيزنطية قد سارت في طريق شرقي هلليني خالص عندما أصبحت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية التي يتحدث بها البيزنطيون، وبخاصة في العاصمة القسطنطينية، في الوقت الذي كانت فيه اللغة اللاتينية آخذة في الاختفاء من ألسنة الناطقين بها ثم اختفائها[3].

وفي الحملة الصليبية الأولى 488هـ/ 1095م، عاد الخلاف المستحكم بين البيزنطيين في الشرق واللاتين في الغرب مجددا إلى الواجهة، وازدادت ثائرة الشحناء والكراهية بمجرد وصول طلائع الحملة الصليبية الأولى العامة والنظامية إلى الأراضي البيزنطية بعامة، والعاصمة القسطنطينية بخاصة عام 489هـ/ 1096م، والتي جعلت الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus [4] يحدد مسلكه وأسلوب تعامله مع هذه القوات الصليبية الغازية [5].

ومما يجدر ذكره هنا، أن تجدد هذا الخلاف واشتداد توتره الذي يعود إلى حوالي سبعة قرون ميلادية مضت، ثم عاد ليلقي بظلاله على السطح ثانية بصورة أكثر كراهية وأعمق عداوة، جاء عندما بعث الامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus برسالة إلى الغرب الأوروبي عام 479هـ/ 1087م تحمل عبارات اليأس، بسبب خشيته من الموقف الذي بات يهدد الإمبراطورية على أيدي الأعداء وهجماتهم المتتالية عليها [6]، سواء هجمات النورمان [7] المتلاحقة من ناحية الغرب أو السلاجقة من الجنوب والشرق والذين أخذوا يتوغلون في آسيا الصغرى (تركيا اليوم) منذ عام 466هـ/ 1073م،

ثم واصلوا توسعهم على حساب البيزنطيين حتى استطاعوا الاستيلاء على غالبية آسيا الصغرى (تركيا) الذي وصل إلى حد بسط سيطرتهم على أنطاكيا عام 477هـ/ 1085م[8]. لذلك استغل الغرب الأوروبي هذه الدعوة التي وجد فيها فرصة سانحة قد لا تتوفر فيما بعد، ليبرر تدخلاته في تقرير مصير الإمبراطورية البيزنطية [9].

وفي حقيقة الأمر، ومن أجل صد الخطرين الكبيرين اللذين كانت تتعرض لهما الإمبراطورية البيزنطية من قبل النورمان والسلاجقة واستحالة تطهيرها وانتزاع المناطق التي وقعت في قبضتهما، فقد رأى الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus أنه من الضرورة إعادة تشكيل الجيش البيزنطي من خلال تجنيد أعداد كبيرة من المرتزقة الذين أصبحوا عماد هذا الجيش، ولم يخطر بباله طلب جيوش جرارة من الغرب الأوروبي كتلك التي قدمت في أثناء الحملة الصليبية الأولى، مما دفعهم إلى الطمع في الاستيلاء على أملاك الإمبراطورية والعمل على تحطيمها من أجل تقويض نفوذها وعجزها عن إعادة قوتها السياسية والعسكرية الأولى [10].

وكانت تلك الخلافات واشتداد حدتها بين الجانبين البيزنطي والصليبي قد نبهت نور الدين محمود زنكي [11] في أثناء صراعه مع الصليبيين إلى ضرورة استثمار تلك الخلافات لصالح الجانب الإسلامي، ولكنه لم يذهب إلى أبعد من محاولة خلق نوع من التوازن في علاقاته مع الإمبراطورية البيزنطية ومع المملكة اللاتينية في بلاد الشام والأراضي المقدسة كما سيفعل السلطان صلاح الدين الأيوبي، فمن أجل المضي بهذه السياسة وضمان نجاحها الذي يرمي بالدرجة الأولى إلى عدم إرتماء بيزنطة بثقلها في دعم الصليبيين [12]، وبخاصة بعد أن علم نور الدين محمود بالمفاوضات التي كانت تجري بين الامبراطور البيزنطي مانويل [13] Manuel والملك الصليبي بلدوين الثالث [14] Baldwin III عام 552هـ/ 1157م والتي توصلا من خلالها في نهاية الأمر إلى الاشتراك في حلف لمناهضة نور الدين والحد من توسعه، ولذلك سارع الأخير أي نور الدين إلى إنفاذ سفارة إلى الامبراطور البيزنطي مانويل Manuel دعاه فيها إلى عقد هدنة والتوقف عن زحفه إلى حلب كما جاء في اتفاقه مع الصليبيين مقابل إطلاق سراح (6) ستة آلاف من الأسرى الصليبيين الذين كانوا يقبعون في السجون الإسلامية ومعتقلاتها [15].

وعلى الرغم من أن موقف الإمبراطور البيزنطي هذا قد تسبب في إثارة غضب الصليبيين وتوجسهم خيفة مما يكنّه لهم، إلا أن الطرفان الإسلامي والبيزنطي كانا بحاجة ماسة إلى تحقيق نوع من التفاهم، فمن ناحية، كان نور الدين محمود يدرك أن التحالف العسكري

البيزنطي من الممكن أن يؤدي إلى توجيه ضربة تلحق بدولته التي لا زالت فتية وتتهددها المخاطر خسائر فادحة، ليس على المستوى الحربي فحسب، بل والمستوى الاقتصادي كذلك، الذي يتمثل بتهديد طرق التجارة بين حلب وأنطاكية [16].

ومن ناحية أخرى، لم تكن مدينة حلب والمدن السورية الأخرى عند مانويل كومنينوس Manuel Comnenus سوى واحدة من مناطق الحدود العديدة، ولم تكن أكثرها أهمية، وعدا عن ذلك، فإنه ليس بوسع الإمبراطور البيزنطي أن يعرّض جيشه وقواته العسكرية لخسائر جسيمة في المعدات والأرواح دون سبب مهم يدعو لمثل ذلك.

وفضلاً عن ذلك كلّه وأكثرها اهمية، هو أنّ الامبراطور البيزنطي لم يشأ أن يتسبب في تحطيم نور الدين محمود وتكبيده هزيمة ساحقة، وبخاصة بعد إدراكه من خلال تجاربه السابقة أن الصليبيين لم يعتادوا التقرب منه أو التظاهر بالترحيب به إلا في الوقت الذي يشعرون فيه بوجود خطر جسيم قد يتهددهم من قبل الجانب الإسلامي، ولهذا فإنه ليس من البراعة السياسية في شيء أن يتصدى مانويل كومنين Manuel Comnenus نيابة عن الصليبيين للخطر الذي يهدد وجودهم وكيانهم في الأراضي المقدسة [17]. سيما وأن دبلوماسية صانعي القرار في الإمبراطورية البيزنطية في عهد نور الدين قد تميزت بالبراعة والحنكة السياسية وبعد النظر، وهي تهدف إلى إذكاء حدة الصراع بين الطرفين الإسلامي والصليبي بغية تحقيق توازن للقوى وتحول دون تمكن الغزو الخارجي من الاستيلاء على أملاكها وفرض سيادته على أراضيها، ولعل ذلك يحقق الأهداف والمكاسب التي تسعى الإمبراطورية في نهاية الأمر إلى تحقيقها [18].

وفي الفترة التاريخية اللاحقة وبخاصة عام 581هـ/ 1185م وما يليها، وجد الجانبان الإسلامي بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي والبيزنطي بقيادة الإمبراطور إسحق كومنينوس Isaac Comnenus أنهما أمام خطر مشترك يتمثل بالسلاجقة والصليبيين الذين يحاولون النيل منهما وتهديد وجودهما –كما سنرى في الصفحات الآتية للدراسة– الأمر الذي تطلب منهما إقامة علاقات دبلوماسية ترتكز بصورة أساسية على تبادل الرسائل والسفراء من أجل تنسيق الجهود ووضع الخطط الكفيلة لمواجهة عدوهم المشترك والحد من توسع خطره وامتداده.

ومن هنا، شرع الجانبان عندما أدركا حجم الأخطار التي تهدد وجودهما باتخاذ خطوات من شأنها بناء جسور من الثقة، وبدا ذلك عندما أعلن السلطان صلاح الدين الأيوبي عن استعداده –كما تشير بعض المصادر الغربية– عن تسليم المدينة المقدسة للبيزنطيين

عدا عن الكنائس والأديرة، على أن يلتزم الامبراطور البيزنطي من ناحيته بتقديم ما يلزم من أسلحة وذخائر حربية تساعد السلطان صلاح الدين الأيوبي في كفاحه وصموده في مواجهة الوجود الصليبي في الأراضي المقدسة.

وعلى الرغم من أن المصادر العربية والإسلامية المتوافرة لم تفصح عن مثل هذا، إلا أن هناك قرائن وأدلة تشير إلى توجه السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى إجراء مفاوضات مكثفة مع الإمبراطور البيزنطي، إلى درجة دفعت بالجانبين مرات عدة إلى تبادل هدايا متنوعة وثمينة، ومع ذلك وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت فإننا نجد أن مفاوضاتهما قد باءت بالفشل ووصلت إلى طريق مسدود حين تنصل كل طرف من التزاماته تجاه الطرف الآخر.

تحوّل البيزنطيين
من سياسة تحالف مع الصليبيين إلى حالة عداء

في أثناء السنوات القليلة التي سبقت الغرب الأوروبي دعوته في إعداد الحملة الصليبية الثالثة [19] 586هـ/ 1189م وتسييرها نحو الأراضي المقدسة، كان زعيم الدولة المسيحية في الشرق [20] "الإمبراطورية البيزنطية"، قد أقدم على عقد تحالف مع السلطان صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام [21] ، وجاء هذا التحالف خدمة لمصالح الطرفين الإسلامي والبيزنطي، وتحقيقا لأهدافهما العامة والمشتركة الرامية إلى كيفية مواجهة الجموع الصليبية ومقاومتها وإضعاف نفوذها. وبدا هذا التحالف من وجهة نظر الغرب الأوروبي ضرب من الخيانة وتخلّ عن المسؤولية من جانب المسيحيين البيزنطيين تجاه الكيان الصليبي في الأراضي المقدسة، وانتهاك لحرمة الرباط الديني المقدس وتدنيسه، عدا عن تعارضه مع العادات والتقاليد التي تحث على المشاركة في التصدي والمقاومة، سيما وأنه منذ اللحظة التي أخذ فيها أتباع (النبي) محمد (عليه السلام) يزدادون بصورة عجيبة والحرب بين المسلمين والبيزنطيين في سجال دائم دون توقف أو نهاية.

ففي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، نجد أن المسلمين السلاجقة [22] في صراعهم مع البيزنطيين قد حققوا نجاحات عسكرية واضحة تمثل في بسط سيادتهم على مساحات واسعة من أراضي الإمبراطورية الشرقية (البيزنطية)، وصلت إلى مناطق أبعد بكثير من منطقة الأناضول [23] Anatolia. ومن الجدير ذكره هنا، أنه بعد تسيير الحملة الصليبية الأولى التي انطلقت من الغرب الأوروبي عام 489هـ/ 1096م صوب الأراضي المقدسة، بذل البيزنطيون تعاونا كبيرا مع قادة وأمراء هذه الحملة، فقدّموا جل ما يستطيعونه من مؤن وسلاح أملا في استعادة أملاكهم [24]، وتوطيد مشروع الصليبيين الاستيطاني فوق تراب البلاد السورية والأراضي المقدسة، وتأمين الحماية اللازمة لهذا الكيان الجديد ما يمكنّه من مواجهة أي هجمات أو اعتداءات قد يشنها أفراد المقاومة الإسلامية على حد قول الباحث ووضع حد لانتهاكاتها المستمرة على حدود الإمبراطورية الشرقية. ولكن هذا الموقف سرعان ما بدأ يتغير حتى وصل إلى درجة اللاعودة، عندما نرى أن اندرونيكوس [25] Andronicus- آخر أبناء أسرة كومنين Comnenus ووريث عرشه إسحق انجيلوس [26] Isaac Angelus قد أخذوا بالتخلي عن سياسة التحالف مع الصليبيين ومناصرتهم لهم، ووصل الحال بسياستهم الجديدة هذه إلى حد إعلان العداء لهم ومناوءتهم بصورة جادة، فساروا باتجاه الكفاح والنضال الذي يرمي إلى إضعاف قوة اللاتين وتقليص نفوذهم في الشرق.

الرغبة المتبادلة بين الجانبين البيزنطي والإسلامي في إقامة علاقة ودية وأسباب فشلها

إن رغبة السلطات البيزنطية وتوجهها إلى حد ما نحو إقامة نوع من العلاقات المبنية على أسس الود والثقة مع الطرف الإسلامي عدوها السابق قد بدأ التمهيد لها ثم العمل على تطويرها من خلال الدخول في علاقات شخصية اقتضتها الظروف السياسية عند كل من الجانبين الإسلامي والبيزنطي، فعندما تعرض أندرونيكوس Andronicus لسياسة النفي والإبعاد القسري نجده يتوجه باللجوء إلى دمشق وبغداد، حيث لقي الترحيب والمناصرة من قبل القائد نور الدين محمود زنكي (27) سلف السلطان صلاح الدين الأيوبي.

وفي مرحلة متأخرة، وخلاصا من طغيان الامبراطور أندرونيكوس Andronicus وحكمه الاستبدادي (28) نزل ألكسيوس أنجيلوس Alexius Angelus وأخيه الأصغر إسحق Isaac ضيوفا في بلاط السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث مكث ألكسيوس Alexius في ضيافته فترة من الزمن، في حين عاد أخوه إسحق Isaac إلى القسطنطينية، وفي هذه المدينة أجمع سكانها بعامة على اختياره ليتولى عرش الإمبراطورية. ومما لا شك فيه، أن مثل هذا القائد البيزنطي الذي كان يتمتع بثقل سياسي ويحظى بعناية كبيرة ثم احتكاكه بالمسلمين وقادتهم وفي مقدمتهم السلطان الأيوبي قد جعلته يشاهد بأم عينيه قوة تراتيبهم العسكرية والتكتيكية.

ولعل الأحداث الأشد خطورة ووضعت كل من السلطان صلاح الدين الأيوبي والبيزنطيين أمام واقع خطير لا يمكن تجاوزه بسهولة، ما تعرض له الطرفان عام 581هـ/ 1185م من تهديدات أعدائهم من مسلمين ومسيحيين ووعيدهم، فمن ناحية، كان السلطان الأيوبي يواجه تحديا قاسيا تمثل في الامارات الصليبية التي تسبب وجودها في خلق شرخ وانقسام شديدين، وغرس بذور العداء والكراهية بين صفوف مسلمي شطري أملاكه في مصر والشام. أما جزيرة قبرص هي الأخرى التي قاد فيها إسحق كومنين (29) Isaac Comnenus تمرده وعصيانه، تلك الجزيرة التي كانت تشكل سندا قويا لصليبيي الغرب الأوروبي، وهذا بالتالي سيصب في مصلحة السلطان صلاح الدين الأيوبي. أما البيزنطيون في المقابل، فكان يحدوهم الأمل في استعادة سيادتهم على الأراضي التي انتزعها السلاجقة من أيديهم بعد انتصارهم في موقعة "مرياكيفالون" (30) Myriokephalon عام 571هـ/ 1176م، ذلك الانتصار الذي مكّن السلاجفة من تثبيت سلطتهم وسط إقليم الأناضول Anatolia واتخذوا منها مركز تجمع يهدد كل من أملاك البيزنطيين في إيجيان (31) Aegean وأملاك

السلطان صلاح الدين الأيوبي شمالي سورية.

ويبدو للباحثين هنا أن البيزنطيين شأنهم شأن السلطان صلاح الدين الأيوبي كانوا قد انتابهم الخوف والجزع من الغرب الأوروبي، إلى درجة أنهم أخذوا باسترجاع ذاكرتهم إلى الماضي عندما تعرضت إمبراطوريتهم وبخاصة عاصمتهم السياسية القسطنطينية في فترة مبكرة (32) لأعمال سلب ونهب من قبل القوات الصليبية، وهي تصرفات وصفت بالمشينة واللاإنسانية. وعلى ضوء ذلك، سبق أن بذل الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (33) Manuel Comnenus محاولات حثيثة لاستعادة أقاليم ومقاطعات أنطاكية التي سلبت وحولت ملكيتها لإمبراطورية الغرب الأوروبي، من بينها مملكة النورمان في صقلية (34) ومدينة البندقية (35) Venice، وهما قوتان لهما وزنهما السياسي عدا عما يملكانه من أسطول حربي بحري وقوة عسكرية كبيرة.

وفي عام 579هـ/ 1182م ارتكبت مذبحة شنيعة بحق المواطنين الإيطاليين في القسطنطينية، تسببت في إثارة الحزن والرعب في نفوس مواطني مدينتي جنوا (36) Ge-noa وبيزا (37) Pisa الذين كانوا أول من عانى من آثار هذه المذبحة التي دفعتهم إلى سرعة في التفكير في الانتقام وسبل الخلاص، فشكل ذلك دعامة كبرى للأهالي وأعضاء الطبقة الأرستقراطية والغالبية العظمى من طبقة ملاك الأراضي للتخلص من ظلم أندرونيكوس Andronicus وطغيانه. فاندفع ملك هنغاريا Hangary بسرعة عبر نهر الدانوب (38) Dan-ube حتى بلغ مدينة صوفيا (39) Sofia في حين سيّر وليم الثاني (40) William II ملك صقلية الذي كان يطالب بعرشه جيوشه عبر بحر الأدرياتيك (41) Adriatic عام 581هـ/ 1185م حيث أعلن عن تأييده لأندرونيكوس كومنينوس Andronicus Cmnenus والوقوف إلى جانبه. وعلى الرغم من ذلك، فقد استطاع الجيش النورماني بما يملكه من قوة عسكرية أن يستولي على ثيسالونيكا (42) Thessalonica المدينة الثانية في الإمبراطورية البيزنطية، ويعيث فيها فسادا ويقدم على ارتكاب أعمال سلب ونهب بحق ثروات أهاليها ومقدراتهم. وبعد هذا الإنجاز العسكري الكبير، اندفعت الجيوش النورمانية نحو العاصمة القسطنطينية نفسها وشنّوا عليها هجوما عنيفا من مختلف جهاتها ونواحيها، مما شكل ضغطا كبيرا على الإمبراطور أندرونيكوس Andronicus الذي بدأ يتعرض لثورة وعصيان داخلي ما أجبره على أن يتوجه بطلب من السلطان صلاح الدين أن يمده بمساعدة عسكرية.

ففي جمادى الثانية 581هـ/ حزيران 1185م، وبناء على هذا الطلب، بعث أندرونيكوس Andronicus بسفارة إلى السلطان صلاح الدين يحثه فيها على إحياء صداقتهما السالفة ودعوته إلى تنفيذ فكرة عقد تحالف بين الجانبين. ولطالما أن الإمبراطور البيزنطي هو الذي يتولى عرش الإمبراطورية، فإن السلطان الأيوبي هو الآخر وجد أنه من

المصلحة أن يوافق على بناء علاقة سياسية معه، كما أنه من المفيد للمسلمين أن يغتنم السلطان هذه الفرصة ويلبي طلب الإمبراطور بتقديم المساعدة العسكرية الممكنة. ففلسطين الواقعة تحت السيطرة الصليبية سيجري التفاوض حولها، وتبعا لذلك سيتسلّم البيزنطيون المدينة المقدسة والمدن الرئيسة عدا عسقلان (43). أما آسيا الصغرى (تركيا اليوم)، فإنه في حالة استعادتها ستصبح خاضعة للسيادة البيزنطية بما في ذلك أنطاكية (44) وأرمينيا (45). وفي مقابل المساعدة العسكرية التي سيقدمها السلطان صلاح الدين الأيوبي، كان الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس Andronicus قد وعد هو الآخر بتقديم كل ما يستطيعه للمقاومة الإسلامية من أجل مواصلة الصمود والتحدي في مواجهة الوجود الصليبي في البلاد السورية.

وعلى الرغم من أن تلبية السلطان الأيوبي لمثل هذه الاقتراحات مجهولة ولم يتم تأكيدها، بدعوى أنها لم ترد في المصادر التاريخية المتوافرة، فإن الباحث الغربي (براند Brand) يفترض أن ردة فعله من الممكن أنها اتسمت بروح إيجابية وعدم رفضها، وبخاصة أنه من المرجح أن التنازلات الإقليمية التي عرضت في التفاهمات التي ستفضي إلى اتفاق بين الجانبين قد وقع تنفيذها بصورة أساسية على عاتق البيزنطيين. ولكن ما حدث لم يكن بالحسبان، حيث سبق رد السلطان صلاح الدين الأيوبي واستجابته إلى القسطنطينية هزيمة الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس Andronicus يوم 5 ربيع ثاني 581هـ/ 12أيلول 1185م. وتعود أسباب هذه الهزيمة إلى إستياء عامة الناس من سياسته المتشددة تجاههم، علاوة على إخفاقاته المتكررة في مواجهة القوات النورمانية (46).

ومما لا شك فيه، أن الهزيمة المنكرة التي لحقت بالإمبراطور البيزنطي على يد النورمان سوف يترتب عليها آثار سلبية، ليس على الإمبراطورية فحسب، بل على علاقاته مع السلطان الأيوبي صلاح الدين التي لا زالت في طور بداياتها، فأندرونيكوس Andronicus الذي كان يعد إمبراطورا ذا سلطة شديدة وحاكما قويا يدين له جموع البيزنطيين بالولاء والطاعة، وأنه سيكون محل تقدير السلطان الأيوبي وقناعته. فإن هزيمته الساحقة أدت إلى تراجع مكانته المعهودة وزعزعة ثقة حاكم مصر والشام به، وإن إقامة علاقة سواء أكانت سياسية أو عسكرية بات أمرا سخيفا ولا يرجى منها أي فائدة بعد أن بدا للسلطان ضعف الإمبراطورية وتراجع نفوذها. فهجمات القوات النورمانية لم يتوقف عند استيلائهم على ثيسالونيكا Thssalonica فحسب، بل امتد كذلك إلى إيجيان Aegean عندما استغلت مجموعات من القراصنة اللاتين الأوضاع المضطربة، فقامت بغزوها واستباحة أراضيها.

ومن التطورات الجديدة الأخرى التي صاحبت الفشل الذي مني به الإمبراطور البيزنطي،

الثورة العارمة التي اندلعت ضد السلطة الحاكمة فيها [47] وما تبعها من تمرد وعصيان، وبالإضافة إلى هذا، فقد استغل الأتراك والهنغاريون Hungarians سوء الأوضاع والظروف السياسية التي لحقت بالإمبراطورية، فأخذوا بشن غاراتهم عبر حدودها. وفي ظل ما لحق بالإمبراطورية من ضعف وتراجع، كانت قوة السلطان صلاح الدين الأيوبي واستعداداته العسكرية آخذة في التمدد والتوسع وبدأ يحقق انتصاراته على الصليبيين ويهدد إماراتهم في الأراضي المقدسة.

وبناء على ما ورد ذكره، يمكن القول إنّ ولاء العالم العربي والإسلامي وخضوعه لالتزامات البيزنطيين في مثل هذه التطورات السياسية والعسكرية التي بدأت تمر بها إمبراطوريتهم أمر لا يمكن تخيله أو القبول به. وعلاوة على ذلك كله، فإن طلب الطرف البيزنطي بإجراء مفاوضات مع أي شخصية على قاعدة المساواة وبناء على ما يزعمه التقليد البيزنطي بأن الإمبراطور ظل الله على الأرض يعد أمرا بعيدا عن الواقع. فأندرونيكوس Andronicus كان شديد التعلق برغباته وتباهيه المصطنع غير القابل للتنفيذ، وبدا ذلك من خلال مطالبته بالسيادة على مدينة القدس وساحل الأراضي المقدسة، إلا أن السلطان صلاح الدين الأيوبي ونظرا لحالة التردي السياسي والعسكري في الإمبراطورية، فإنه لم يكن بمقدوره أن يلبي رغبة الإمبراطور بتسلم المدينة المقدسة وفرض السيادة البيزنطية عليها.

إحياء المفاوضات بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس *Isaac Angelus*

إن قرار السلطان صلاح الدين الأيوبي والقاضي بتراجعه عن موافقته المبدئية على رغبة الجانب البيزنطي بالسيادة على مدينة بيت المقدس وساحل الأرض المقدسة قد جرى تسليمه للإمبراطور البيزنطي الجديد إسحق أنجيلوس Isaac Angelus الذي تولى عرش الإمبراطورية بمساعدة النورمان، واشترط السلطان الأيوبي في رسالته استئناف مفاوضاته بإجراء تعديلات جوهرية على الاتفاقية، وبخاصة بعد الانتصارات التي بدأت تتحقق له على الصليبيين. وقد وجد هذا العرض قبولا من الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus ولم يعلق عليه بالرفض، بل بدا عليه السرور والبهجة عندما وجد أن هناك من يرضى بإجراء مفاوضات تحالف معه، فصادق على الاتفاقية الجديدة، ثم استدعى ابنه ألكسيوس Alexius الذي كان حتى عام 582هـ/ 1185م يتواجد في بلاط السلطان صلاح الدين الأيوبي.

استجاب ألكسيوس Alexius لدعوة أبيه ولم يخيب آماله، فقفل عائدا إلى العاصمة القسطنطينية مرورا بالأراضي المقدسة الخاضعة للسيطرة الصليبية باتجاه ميناء عكا، وعندما عبر حدود إمارة طرابلس وقع في قبضة الصليبيين وسلم إلى ريموند الثالث Reemond III كونت Count طرابلس [48] الذي أودعه السجن بعد أن سرت بينهم إشاعة قوية تفيد بوجود اتفاق يرمي إلى تحقيق تحالف إسلامي بيزنطي وصل صداه إلى سكان الإمارات الصليبية، وظل ألكسيوس Alexius قابعا في سجنه، ولم يطلق سراحه حتى تقدم بعض البيازنة بإقراضه مبلغ من المال يؤديه للصليبيين بعد أن وعدهم بإعادة هذا المبلغ وتسديده لهم فور وصوله القسطنطينبة، ولكنه تنكر لهذا الالتزام ولم يف بوعده.

وكان هذا الاعتداء الذي تعرض له ألكسيوس Alexius ثم أسره وزجّه في السجن من قبل الصليبيين وقبل أن يطلق سراحه قد دفع بوالده الإمبراطور البيزنطي إسحق Isaac أن يبعث بخطاب للسلطان صلاح الدين الأيوبي على وجه السرعة، شدّد فيه دعوته له بمشاركته في مهاجمة الإمارات الصليبية من أجل النيل من قوتها والضغط على حكامها لإجبارهم على إطلاق سراح ولده من الأسر بالسرعة الممكنة.

وفي هذا الشأن، أعد البيزنطيون في ربيع 583هـ/ 1187م أسطولا بحريا قويا وساروا به باتجاه جزيرة قبرص في محاولة منهم فرض حصار عسكري مشدد بغية

مهاجمتها والاستيلاء عليها. وفي الوقت ذاته، كان السلطان الأيوبي صلاح الدين يأمل أن يشكل هذا الأسطول بعتاده العسكرية القوية سندا بحريا يدعم هجومه على الإمارات والإقطاعيات الصليبية. ولكن ما حدث وعلى الرغم من كل التجهيزات فقد وقع ما لم يكن بالحسبان، حيث منيت القوات البيزنطية بهزيمة منكرة على أيدي قوات وجيوش إسحق كومنينوس Isaac Comnenus حاكم قبرص تكبد الأسطول البحري البيزنطي خلالها خسائر مادية جسيمة، بعد تعرضه لهجوم خطط له بعناية من قبل الأدميرال (أمير البحر) الصقلي ماغاريتون Magaritone

ولكن وعلى الرغم من كل هذه الأضرار والخسائر التي لحقت بالأسطول البيزنطي وهزيمته، فإنها لم تثن السلطان صلاح الدين الأيوبي عن مواصلة تنفيذ مشروعه بمهاجمة مملكة بيت المقدس الصليبية وتقويض أركانها، فحاصر المدينة المقدسة عاصمة الصليبيين وتمكن من استعادتها واسترداد معظم المدن الساحلية.

وفي الوقت الذي خضعت فيه مدينة عكا (49) للسيادة الإسلامية، كان ألكسيوس أنجيلوس Alexius Angelus قد فك قيده من الأسر وعاد إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية على متن إحدى السفن الجنوية، وحلّ عام 597هـ/ 1201م دون أن يدفع أجرة مغادرته لمالكي تلك السفينة.

دور الإمبراطور البيزنطي والمسيحيين الشرقيين في فرض سيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي على الأرض المقدسة

يذهب اعتقاد كثير من المؤرخين إلى أن العلاقة الوطيدة التي ربطت الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus بالسلطان صلاح الدين الأيوبي قد عززت مكانة الأخير ووطدت سيادته على الأرض المقدسة، ويعزو هؤلاء المؤرخين سرعة استسلام مدينة بيت المقدس له واستردادها إلى بغض الحكم الصليبي وكراهيته. فمواطنو المدينة من الأرثوذكس اليونان (50) (الذين عرفوا في البلاد السورية باسم الملكانيين (51) Milkites) كانوا قد أعلنوا عن استعدادهم الجاد في أن يلعبوا دورا في خيانة الصليبيين الذين يعيشون في مدينة القدس وتضليلهم. ولعل ذلك أسهم في نجاح الحاكم المسلم أي صلاح الدين الأيوبي في أن يجري نوع من الاتصالات مع من رضي التعاون معه، ومنهم أحد الصليبيين المولودين في المدينة المقدسة ويدعى جوزيف باتيت Joseph Batit والذي كان يتمتع بمكانة رفيعة بين أقرانه، إذ بذل هذا الصليبي وبمساعدة إخوته من الرهبان ورجال الدين جهدا كبيرا في إقناع سكان القدس بأنه من المصلحة العامة وحقنا للدماء فتح بوابات أسوارها وتسليمها للجانب الإسلامي.

هذا الحدث الغريب الذي لم يكن يتوقعه الصليبيون جعلهم يدركون مدى الكراهية التي كان يكنها لهم الملكانيون ومدى سخطهم عليهم، وازدادت العلاقات سوءا بين الطرفين عندما علموا بالمؤامرة التي حيكت مع السلطان صلاح الدين لإنهاء الوجود الصليبي في القدس والمدن الأخرى. ومن الجدير ذكره هنا أن المصادر التاريخية المتوافرة تكاد تخلو من أي إشارة عن سر الأهمية التي دفعت بالملكانيين إلى إقامة علاقة سياسية وطيدة مع الإمبراطور البيزنطي إسحق انجيلوس Isaac Angelus ووقوفهم موقف العداء من الصليبيين.

ولكن ما ينبغي ملاحظته هنا، هو أن تحالف السلطان صلاح الدين الأيوبي مع الجانب البيزنطي شمل موافقته على تحويل الكنائس الغربية اللاتينية في الأراضي المقدسة إلى المذهب الملكاني (اليوناني)، ولهذا كان ملكانيو القدس أكثر ميلا للبيزنطيين بعد أن بلغهم من جانبهم ما وعدهم به السلطان صلاح الدين الأيوبي، زد على ذلك بصورة جلية وواضحة عاملا آخر لا يمكن تجاهله أو التقليل من شأنه، وهو أن الملكانيين منذ بداية تأسيس الكيان الصليبي الجديد فوق تراب المشرق الإسلامي لم يميلوا إلى إقامة علاقة ود وحسن جوار مع الصليبيين في المدينة المقدسة (52).

تبادل الهدايا بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي بعد انتصارات السلطان صلاح الدين الأيوبي

فرحا وابتهاجا بالنصر التاريخي الكبير الذي تحقق للجيوش الإسلامية على القوات الصليبية (53) واسترداد غالبية المدن في فلسطين وفي مقدمتها المدينة المقدسة، أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus بسفارة على وجه السرعة يبلغه فيها بتلك الإنجازات التي بدأت تتوالى على المسلمين وتقهقر القوات الصليبية وهزيمتها. وبحسب العادات التي جرت عليها الدبلوماسية الشرقية في مثل هذه المناسبات التاريخية، تقدم السفراء للإمبراطور البيزنطي بهدايا ثمينة تميزت بفخامتها وقيمتها الكبيرة، ومن بين تلك الهدايا، فيل وسروج خيل تركية الصنع بلغ عددها خمسين سرجا، وقارورة من البلسم (54)، ومائة من الأقواس التركية بجعبها وسهامها، وألف وخمسين من الخيول ذات الأصول التركية، ومائة من الأسرى البيزنطيين تسلمهم المسلمون من اليونانيين الإغريق، فضلا عن كميات وفيرة من التوابل والبهارات المتنوعة.

من جهته، فقد أبدى الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus عن مشاعر فرحته وسروره بأنباء الانتصارات الكبيرة التي تحققت للقائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي وجيوشه وتقويض أركان البيت الصليبي، زد على ذلك حسن الضيافة والحفاوة والكرم النبيل الذي استقبل بها الوفد الإسلامي في قصره الذي امتاز بالفخامة والجمال وسط العاصمة البيزنطية القسطنطينية. وفي أثناء استقباله للسفراء المسلمين، كرر الإمبراطور البيزنطي التزامه وتعهده باستمرار تحالفه مع السلطان صلاح الدين الأيوبي، وبخاصة أن هذا الإمبراطور كان آنذاك في أوج سروره وغبطته بإطلاق سراح ابنه ألكسيوس Alexius وتخليصه من الأسر في سجون البلاد الخاضعة للسيطرة الصليبية.

لم يقف الأمر إلى هنا فحسب، بل عبر الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus عن بالغ امتنانه بالهدايا التي وصلت إلى بلاطه من الجانب الإسلامي بإرساله هو الآخر مع سفيريه، الأول يدعى سوفيستوت Sovestot أو سيباتوس Sebatus والثاني يدعى أسبيون Aspion وبصحبتهم شيخ جليل عرف باسم قنسطنطين Constantius بهدايا ثمينة امتازت ببراعتها ودقة صنعها إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن بين هذه الهدايا الثمينة، أربعمائة من دروع للصدر وأربعمائة من الرماح، وخمسة آلاف من السيوف (علما بأن هذه الأنواع من الأسلحة كانت جيوش الإمبراطور البيزنطي وقواته قد حصلت عليها كغنائم بعد أن كبدت جيوش وليم الثاني William II خسائر فادحة وألحقت بها هزيمة

منكرة) (55). ومن الهدايا الأخرى التي حظي بها السلطان الأيوبي، كأسان مصنوعان من الذهب الخالص ورداءان من الثياب الملوكية الفخمة، التي تمتاز بدقة نسيجها ورونق لبسها، فضلا عن ثلاثمائة قطعة من أجود أنواع الفراء وجلود الحيوانات الثمينة. ولم تقتصر مثل هذه الهدايا على السلطان صلاح الدين وحده، بل طالت أيضا ثلاثة من أبنائه وأخاه الملك العادل (56)، إذ أرسل لهم الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus بمجموعة ثمينة من الملابس الحريرية والأردية الملوكية المزركشة بألوانها المختلفة.

وحمل سفراء الإمبراطور البيزنطي معهم للسلطان الأيوبي تاجا من الذهب ووثيقة رسمية تحمل توقيعه، ومما جاء فيها " لقد أرسلت لك بهذا التاج، لأنك أنت الآن كما أعتقد ستصبح ملكا شرعيا بإرادة الله، وما أقدمه لحضرتكم ما هو إلا من باب العون والمساعدة ". ويبدو أن هذه الرسالة بما تتضمنه من كلمات ورموز (البعيدة عن الحقيقة والواقعية) تحمل في ثناياها شاهدا واضحا وجليا عن محاولة الإمبراطور البيزنطي فرض سلطته على السلطان صلاح الدين الأيوبي.

أبحر رسل الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus يوم الخامس من ذي القعدة 583هـ/ السادس من كانون ثاني 1188م على متن سفينة بحرية قاصدين مدينة عكا، وصادف هذا التوقيت قرار السلطان صلاح الدين الأيوبي القاضي برفع حصاره عن مدينة صور (57) بعد أن عجزت قواته من دخولها واستردادها. وفي أثناء ذلك وبحضور أبنائه وجمع من النبلاء وكبار موظفيه، شدد السلطان صلاح الدين على موقفه الثابت بما تعهد به للإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus بعدم تراجعه عن تحالفه معه. ومن ناحيتهم أبلغ هؤلاء السفراء السلطان صلاح الدين شكر الإمبراطور وتقديره على ما بذله من جهد ووقت من أجل إطلاق سراح ابنه ألكسيوس Alexius من السجون الصليبية وعودته إلى العاصمة القسطنطينية بقولهم: "من خلالك كانت نجاة ألكسيوس Alexius من أسر اللاتين وأن يصبح بعد الآن حرا طليقا".

البيزنطيون يسّرون للسلطان صلاح الدين
نبأ قدوم الحملة الصليبية الثالثة

وفي أثناء لقاءاته مع وفد الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus تناول السلطان صلاح الدين الأيوبي معه الأوضاع الداخلية للإمبراطورية والظروف الخارجية الخطيرة التي تحيط بحدودها، وبخاصة فيما يتصل بحروبها واشتباكاتها العسكرية مع "الفلاشا [58] Vlachs""، كما تدارس السلطان مع هذا الوفد الأخبار الحربية التي تخوضها جيوش الإمبراطور البيزنطي مع قوات ملوك وحكام الغرب الأوروبي، وفي أثناء الحديث لم يتردد السفراء البيزنطيون في أن يسرّون للسلطان الأيوبي كذلك نبأ إعداد الأوروبيين لحملة صليبية جديدة وتوجهها نحو المشرق الإسلامي، بهدف الاستيلاء ثانية على القبر المقدس والأراضي المقدسة. وعندما تأكد للسلطان صلاح الدين صحة الأخبار المتعلقة بهذه الحملة من طرف آخر وعزم الأوروبيين تسييرها نحو المشرق الإسلامي، دعا كبار مستشاريه إلى عقد اجتماع طارئ تدارس فيه معهم الخطوات الواجب القيام بها وإصدار تعليمات يصدرون فيها على إلزام الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus بتقديم ما يمكنه من معدات حربية وقوات عسكرية، وكذلك إلزامه بالتصدي للجيوش الصليبية في أثناء عبورها لحدود الإمبراطورية البيزنطية.

وزيادة في الاحتراز والاستعداد، سار السلطان صلاح الدين الأيوبي في خطوات أبعد من ذلك، حين بعث بسفارة جديدة إلى القسطنطينية تضم عددا من المختصين للتباحث مع الإمبراطور البيزنطي وإجراء مفاوضات من أجل توقيع شبه اتفاقية تفضي إلى ترسيخ مبدأ التعاون بين الجانبين حول سبل الخطر الداهم للحملة الصليبية الثالثة. ودعم السلطان الأيوبي هذا التوجه بهدايا جديدة للإمبراطور أنجيلوس Angelus فاقت في قيمتها تلك الهدايا التي حملها سفراؤه من قبل، فشملت عشرين من أجود أنواع الخيول اللاتينية [59] المدربة على خوض ساحات الحروب وميادين القتال، ومجموعة من الصناديق ذات الأحجام الكبيرة المليئة بالأحجار الكريمة والبلسم، وثلاثمائة من السلاسل والمجوهرات الثمينة، ووعاء يمتلئ بنبات الإلوة [60] (عصارة الصبر)، ومائة كيس من نبات المسك وأيل المسك [61]، وعشرين ألف قطعة من العملة البيزنطية "البيزنط" [62] Beasant، وفيل صغير حديث الولادة، ونعامة واحدة، وخمسة من النمور، وقنطار [63] من نبات الفلفل، وكميات وفيرة من أنواع الطيب والتوابل طيبة الطعم والرائحة، وقارورة مصنوعة من معدن الفضة تمتلئ بنوع من النبيذ، وزوّد السلطان صلاح الدين الأيوبي صديقه الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس

Angelus بالأشربة والأطعمة السامة وأوعية تمتلئ بالسوائل المتطايرة، كي تساعده في التخلص من أعدائه المناوئين للإمبراطورية، سواء القابعين منهم في معتقلاتها وسجونها أو برشها بين صفوف الجيوش الصليبية في أثناء عبورها للأراضي الواقعة تحت سيادتها، كما هو الحال في حملة الإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa إذ إنّ استخدام مثل هذه المواد قد أدى إلى نجاح البيزنطيين في تكبيد جيوشه الغازية خسائر جسيمة في الأرواح البشرية.

ومن بين الهدايا والعطايا الأخرى النفيسة وذات الأثمان الباهظة التي حملها رسل السلطان صلاح الدين الأيوبي وسفرائه للإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus كميات وفيرة من الطيب والبخور الذي عرف باسم موميريا maumeria والكلمة اللاتينية هذه والتي ارتبط استخدامها بالدين الإسلامي عرفت بالفرنسية باسم Mahomeria وقد جعل استخدام الإمبراطور لهذه المواد يشعر بالانتعاش والنشوة، كما هو الحال بالنسبة للمسلمين، حيث أن حرق مثل هذه المواد ذات الرائحة الطيبة ووضعها على أعلى درج منابر المساجد وأماكن الصلاة يبعث في نفوسهم الوقار والتبجيل والطهارة.

محاولات الصليبيين الحثيثة
لإفشال التحالف بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي

في كل مرة تنعقد فيها جلسات التباحث والمفاوضات بين الجانبين الإسلامي والصليبي كان السلطان صلاح الدين الأيوبي يركز فيها جل عنايته واهتمامه الكبير في الدفاع عن الدين الإسلامي ونصرته، ويبدو ذلك في طلبه المستمر بتوفير ما يلزم جامع القسطنطينية من إنارة وفرش وعدم المس بقدسيته، نظير أن يمنح المسيحيين اليونان (الملكانيون Milktes) بناء على رغبة الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus كامل حريتهم في ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية في كنائس الأراضي المقدسة وأديرتها.

وعلى الرغم من مواقف السلطان هذه التي اتسمت بروح التسامح الديني إزاء مسيحيي الشرق الإسلامي والأراضي المقدسة، إلاّ أن المنبر الذي كان قد أمر بإعداده وتصميمه خصيصا لجامع مدينة القسطنطينية قد تعرض لعملية سطو واستيلاء على أيدي بعض القراصنة الجنويين في أثناء نقله على متن إحدى السفن الجنوية، فتمت مصادرته وإيداعه في العاصمة البيزنطية تمهيدا للتوجه به نحو مدينة صور اللبنانية مطلقين عليه اسم "الوثن" Idol وبما أن صنع مثل هذا المنبر شكل دليلا واضحا وملموسا على صحة وجود تحالف يخدم الجانبين الإسلامي والبيزنطي، فإن مسؤولا صليبيا يدعى كونراد من مونتيفرات [64] Conrad of Monteferrat (الذي تولى حكم مدينة صور) حاول بكل ما أوتي من قوة أن يعمد إلى توتير العلاقات بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي وإشاعة الفتنة أمام تحالفهما وتعاونهما في مواجهة الخطر الصليبي المشترك، فاستغل أخبار استيلاء بعض القراصنة الجنويين على منبر السلطان الأيوبي وأخذ يعمل على نشرها بين أوساط الأوروبيين في الغرب، إدراكا منه أن مثل هذا الفعل قد يعزز من مكانته ومكانة الصليبيين ويؤدي بالتالي إلى تراجع شعبية الإمبراطور البيزنطي، ولذلك نجد أن الملك الصليبي الفرنسي فيليب الثاني Philip II عندما وصل إلى مسامعه تلك الأنباء، سارع إلى إرسال سفارة إلى القسطنطينية من أجل إقناع الكثيرين من سكان الإمبراطورية إلى التمرد وتجنيدهم في صفوف الحملة الصليبية التي بات تسييرها وشيكا وأن الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus كما شاع في الغرب الأوروبي عام 584هـ/ 1188م سيكون على أتم استعداداته لاستقبال تلك الحملة.

لقد باءت محاولات كونراد من مونتيفرات Conrad of Monteferrat الساعية إلى إفشال التحالف بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والإمبراطور البيزنطي أنجيلوس

Angelus وإسقاط شروطه بالفشل، بل وردا على مثل هذا التصرف وإطلاق الإشاعات المضللة رأى السلطان الأيوبي بأنه سيكون قادرا على المضي بقراره القاضي بتسليم الكنائس جميعها في المدن والقرى الفلسطينية التي فتحها ودانت له للطائفة المسيحية الأرثوذكسية، علما أنّ الإمبراطور البيزنطي من ناحيته هو الآخر لن يتوانى عن تنفيذ التزامه في أن يكون جامع القسطنطينية تحت السيادة الإسلامية.

مساعدات الإمبراطور البيزنطي العسكرية البحرية للسلطان صلاح الدين الأيوبي

وفيما يتصل بحصار أنطاكية [65] تمهيدا للاستيلاء عليها وإعادتها للسيادة الإسلامية، كان يتوجب على الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus أن يشرف على تجهيز مائة سفينة شراعية ذات حجم كبير وبكامل عتادها من جيوش وآلات حربية وحصار، إسهاما منه في مساعدة السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن هنا نرى أن القائد الصليبي كونراد Conrad يعلن صراحة بأن مساعدات الإمبراطور العسكرية البحرية هذه فيها تذكير بما قدمه السلطان الأيوبي للأسطول البيزنطي من مساعدات عسكرية عام 583هـ/ 1187م من أجل غزو قبرص وإعادتها للسيادة البيزنطية [66].

تصدي الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس *Angelus Isaac* للحملة الصليبية الثالثة واستئناف المفاوضات مع الجانب الإسلامي

استجابة لدعوة السلطان صلاح الدين الأيوبي للإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus بضرورة التعاون والتنسيق معا في مواجهة الحملة الصليبية الثالثة وإفشال كل أهدافها التي كانت تسعى إلى تحقيقها وفي مقدمتها الاستيلاء ثانية على المدينة المقدسة، كان أول قرار اتخذه الإمبراطور البيزنطي هو القبض على مواطني دولته من اللاتين الذين لم يخفوا رغبتهم في حمل الصليب والانضمام إلى صفوف الحملة الصليبية ثم زجهم في سجون العاصمة القسطنطينية ومعتقلاتها. ولعل القرار الرئيس والأكثر أهمية هو صدور أوامره لجيوشه المرابطة بأخذ الحيطة والحذر وعدم السماح لأي من القوات الصليبية بتخطي الحدود الخاضعة للسيادة البيزنطية، مقابل وعد السلطان صلاح الدين الأيوبي له بالسيادة على كامل الأراضي المقدسة (67)، تقديرا للدور الذي اضطلع به البيزنطيون في النضال ضد الصليبيين والحد من امتداد نفوذهم طيلة القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فضلا عن الجهود الكبيرة التي كانت قد بذلت من جانب أندرونيكوس كومنينوس Andronicus Comnenus من أجل إحياء المفاوضات الإسلامية البيزنطية.

فوثيقة السفارة الفرنسية التي صدرت من القسطنطينية ودونت بإيجاز بعد الرسالة التي دوّنها القائد الصليبي كونراد (68) Conrad تحوي عبارات إضافية تفيد بحفاوة استقبال الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus لسفراء ورسل السلطان صلاح الدين الأيوبي في بلاطه بإجلال واحترام وتمنياته لهم بطيب الإقامة أكثر من استقباله لأي وفد آخر. وتورد هذه الوثيقة الهامة كذلك، أنه في هذا اليوم المهيب، أفصح رسل المسلمين عن الأوامر التي صدرت عن الإمبراطور البيزنطي نفسه بترحيل جميع المواطنين اللاتين وإجلائهم عن الأراضي الواقعة تحت سيادة الإمبراطورية.

وإذا كان هذا البيان الذي لم تؤكد صحة وروده في مكان آخر أو حقيقة صدوره من على لسان الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus، فإنه من المحتمل قد جرى اختصاره أو إلغاء ما ورد فيه أو ربما أدخلت عليه تعديلات جوهرية. فخلال الحملة الصليبية الثالثة، كان تواجد تجار البندقية Venetian والصليبيين المرتزقة والمدنيين اللاتين الذين يخدمون في الإمبراطورية خير شاهد على تلك الأوامر الصادرة عن الإمبراطور البيزنطي. ومن ناحية أخرى، ومن خلال اتباع أساليب الاعتقال والزج في السجون وفرض الأحكام العالية بحق الصليبيين المقيمين في القسطنطينية، فإن الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus

بسياسته هذه قد يكون دخل في مرحلة عدائية وخصومة شديدة مع الغرب الأوروبي أملا منه في استعادة المدينة المقدسة ومنحه فرصة فرض السيادة البيزنطية عليها.

مرور الحملة الصليبية الثالثة بقيادة الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا *Frederick Barbarossa* عبر أراضي الإمبراطورية البيزنطية

وهنا نأتي إلى القول، أن النتيجة التي وصلت إليها العلاقات المرتبطة بالتحالف العسكري الإسلامي البيزنطي ونهايتها قد تولّدت بفعل سفارة للسلطان صلاح الدين الأيوبي عام 584هـ/ 1188م، أو في إحدى السنين التي صعب تحديد تاريخ خروجها وتوجهها نحو الأراضي البيزنطية، وصاحب هذه السفارة وبخاصة عام 585هـ/ 1189م بث عيون المسلمين وجواسيسهم في أنحاء مختلفة من مدينة القسطنطينية والمناطق القريبة، في الوقت الذي كانت فيه العلاقات بين الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus والإمبراطور الألماني الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa آخذة بالتوتر واشتداد الأزمة السياسية بينهما.

ففي عام 584هـ/ 1188م، كان الإمبراطور الألماني بربروسا Barbarossa قد اتخذ قراره النهائي والحاسم بالمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة والسعي إلى تحقيق الأهداف التي ستتحرك من أجلها، فأرسل على وجه السرعة برسله إلى الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus لكي يعلموه بكل صراحة ووضوح عن نية الإمبراطور الألماني وإصراره الشديد وبلا تردد على قيادة حملته الصليبية والسير بها نحو الأراضي السورية عبر بلاد وأراضي الإمبراطورية البيزنطية. وتحت هذا الضغط والإصرار، لم يكن أمام إمبراطور بيزنطة سوى الاستجابة لهذا الطلب بالموافقة، وتحقيق رغباته بفتح أسواق مدينة القسطنطينية من أجل أن يتزود أفراد الحملة الصليبية بما يحتاجونه من سلع ومواد تموينية. وليس هذا فحسب، بل إنّ الإمبراطور الألماني بربروسا Barbarossa شدّد على ضرورة اهتمام الإمبراطور البيزنطي بالجانب الأمني، باتخاذ التدابير اللاّزمة كافة والتي تضمن لهذه الحملة مرورا سريعا وآمنا عبر المضائق المائية الواقعة تحت السيادة البيزنطية، شريطة أن يضمن الطرف الآخر أي الإمبراطور الألماني بربروسا Barbarossa التزام أفراد حملته بالهدوء والكف عن الأعمال والأفعال التي قد تتسبب في تدمير وخراب الإمبراطورية البيزنطية والعبث بمقدراتها وممتلكاتها – كما حدث في أثناء الحملة الصليبية الأولى– .

ولا شك أن هذا التغير في موقف البيزنطيين والتعاطف مع الحملة الصليبية الثالثة جاء مخالفا لكل التعهدات المبرمة بين الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus

والسلطان صلاح الدين الأيوبي وتبادل وجهات النظر من خلال سفرائهم الذين بذلوا جهدا كبيرا في التوفيق بين الجانبين. ولعل ذلك يعود إلى تعرّض الإمبراطور البيزنطي إلى تهديد ووعيد من الإمبراطور الألماني بربروسا Barbarossa وجيوشه بتوجيه ضربة عنيفة على العاصمة البيزنطية القسطنطينية والمدن الأخرى، ردا على أسلوب الإهانة والإذلال الذي كان قد لحق بالإمبراطور البيزنطي مانويل Manuel والإقدام عام 578هـ/ 1182م (69) على مذبحة شنيعة ألحقت خسائر فادحة في أرواح القوات اللاتينية.

بإيجان، وقبل أن يشرع برحلته يوم ربيع أول 23/ 3/ 585هـ/ 11 مايو أيار 1189م، أوفد الإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa أسقف مونستر (70) Munster، يرافقه عدد من الشخصيات الاعتبارية والبارزة كي تعلم الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus عن عزم قوات الحملة الصليبية الثالثة بالتوجه نحو القسطنطينية. ولكن ما جرى لم يكن من المتوقع حدوثه، فما أن وطأت أقدام بعثة الإمبراطور الصليبي حوالي ربيع ثاني 585هـ/ منتصف شهر حزيران 1189م حتى تعرض أفرادها بعد أيام قليلة من إقامتها لحملات اعتقال وزج في سجون العاصمة.

ومن المرجح أن اتخاذ مثل هذه الإجراءات قد جاءت على خلفية تشدد مندوبي السلطان صلاح الدين في مواقفهم وإصرارهم على الالتزام بكل ما جرى الاتفاق عليه من تعهدات وعدم تجزئتها. ولم تقف الأمور عند حد الزج في السجون فحسب، بل امتد أيضا إلى مصادرة خيول رسل الإمبراطور الصليبي بربروسا Barbarossa وما يحملونه من كنوز وهدايا ثمينة ثم تقديمها كهبة وعطايا للمسلمين.

وبهذا الموقف الذي يوصف بالتراجع والتخاذل على حدّ قول الغرب الأوروبي، يكون الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus قد تراجع عما التزم به تجاه الإمبراطور الصليبي وجيوشه وعاد إلى سياسة العداء والكراهية. لهذا لم يجد بدّا من أن يستأنف إرسال سفرائه إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي الذين وصلوه بين شهري رجب وشعبان 585هـ/ أغسطس آب وسبتمبر أيلول 1189م وعندما كان يعسكر بقواته في مرجعيون (71) السورية، حاملين رسالة من الإمبراطور يؤكدون فيها صدق نواياه في استمرار التحالف وعدم تراجعه عن تعهداته والتزاماته السياسية والعسكرية.

الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس *Isaac Angelus* يسعى إلى تعزيز علاقته بالسلطان صلاح الدين الأيوبي

لاحقا لما كان قد جرى التوصل إليه في وقت سابق بين الجانبين اللاتيني والبيزنطي، أدرج اللاتين في تفاهماتهما وفي وثيقة رسمية بندا يتعلق بشأن تنسيق الجهود من أجل شن هجوم مشترك على جزيرة قبرص. وهذا يدفع إلى الاعتقاد إلى أن فكرة البيزنطيين بضم إمبراطورية الروم بل أرمينيا السلجوقية وأنطاكية في المستقبل قد أخذت تتبلور في مخيلتهم وتسيطر على تفكيرهم، ومنذ ذلك الحين نجد أنه ليس من السهل على الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus أن يعرّض بلاده لأعمال عبث وتخريب وإلحاق أضرار فادحة بمقدراتها وممتلكاتها قد تقدم القوات الصليبية على ارتكابها على نمط ما حدث في الحملة الصليبية الأولى وتتجنب تقديم وعود يكفل تعويض الإمبراطور البيزنطي بإقليم جوهري وعلى درجة كبيرة من الأهمية الجغرافية، وبخاصة أن السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي كان يدرك البيزنطيون خشيته من الإمبراطور الصليبي بربروسا Barbarossa سوف لن يتراجع أو يتردد في أن يهب شخصا ما يشاركه في التصدي لقوات الجيش الصليبي وإلحاق هزيمة منكرة بها إقليما أو منطقة وضمها تحت سلطته.

وعلى ضوء ذلك، سارع البيزنطيون إلى إغراء السلطان صلاح الدين الأيوبي وحثه على تشكيل سفارة تتالف من عدد من علماء الدين الإسلامي لتتولى مراسم الخطبة باسم الخليفة العباسي في جامع العاصمة البيزنطية القسطنطينية، عوضا عما ارتكبه بعض الجنويين من اعتداء سابق على السفينة الإسلامية التي كانت تحمل منبرا خصصه السلطان الأيوبي لذلك الجامع. وهذه الدعوة لاقت صدى إيجابي لدى هذا السلطان الذي بادر إلى إرسال إمام للجامع ومنبر ومؤذنين للصلاة ومقرئين للقرآن الكريم، وبعد وصول هذه البعثة، ألقيت أول خطبة في الجامع بحضور حشد من التجار والسفراء والمندوبين وغيرهم من الرحالة والمسافرين المسلمين الذين كانوا يتواجدون في مدن وبلدات الإمبراطورية البيزنطية.

ومما يشير إلى ميل البيزنطيين إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي في هذه الفترة التاريخية الحرجة التي تمر بها إمبراطوريتهم هو إصرارهم وسعيهم الدؤوب على تعزيز تواصلهم معه، فما أن بلغ الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus نبأ وفاة رسوله في البلاد السورية– ومن المرجح أن هذا الحدث وقع في صيف عام 585هـ/ 1189م– حتى أخذ قراره بإرسال مبعوث آخر بغية استكمال المفاوضات، وبخاصة انه كان يأمل من السلطان الأيوبي تأمين مساعدة عسكرية له تمكّنه من مواجهة الإمبراطور الصليبي فردريك

بربروسا Frederick Barbarossa الذي امتاز بخبرته العسكرية وحنكته في كيفية التعامل مع القوات البيزنطية وسبل مواجهتها. ولإثبات حسن نواياه وبلوغ ذلك إلى السوريين، واصلت جموع الإمبراطور البيزنطي تصديها للقوات الصليبية إلى حد استخدام أسلوب حرب العصابات لإنهاكها وإعاقة حركتها لحظة دخولها برانتشيفو (72) Branitchevo في طريقها إلى الأراضي البيزنطية.

هجمات فردريك بربروسا *Frederick Barbarossa*
على المدن والبلدان الواقعة تحت السيطرة البيزنطية

ولكن على الرغم من كل الخطوات السياسية والتراتيب العسكرية التي قام بها الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus واتصالاته المكثفة مع السلطان صلاح الدين الأيوبي، إلا أننا نجد أن كل هذا لم يحل دون أن يواصل فردريك بربروسا Frederick Barbarossa السير في تنفيذ مشروعه، فأخذ يحشد بقواته العسكرية بين نيش (73) Nish وصوفيا Sofia ويجبر الجيش البيزنطي على مغادرة حصونه وقلاعه فيها، بل استطاعت قواته وعلى مقربة من فيليب بوليس (74) Philippolis أن تلحق بالقوات البيزنطية هزيمة منكرة وتكبدها خسائر فادحة.

إن تتابع الانتصارات الكبيرة التي تحققت للجيوش الصليبية وما تخللها من هزائم للبيزنطيين ثم أسر أسقف سفارة مونستر Munster جعلت معنويات الإمبراطور الصليبي في ازدياد، لدرجة أن أخذ فيها على نفسه عهدا بأن يواصل بقوة السيف عملية التحرير على حد زعمه وأنه لن يتأخر وجيشه عن هدفهم في تدمير تراقيا (75) (ثراس) Thrace وأن يعيثوا في البلاد الممتدة من إينوس (76) Enos إلى ثيسالونيكا Thessalonica خرابا وفسادا يفوق ما تعرضت له الإمبراطورية البيزنطية في مرحلة تاريخية سابقة.

وفي محاولة منه للخروج من حالة التوتر السياسي والعسكري الشديدين اللذين سادا العلاقات البيزنطية الصليبية ووصل الأمر إلى حالة الاشتباك المسلح واقتحام الحدود والاستيلاء على بعض المواقع الاستراتيجية، حاول الإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa تخفيف هذا التوتر والتأثير على علاقات الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus مع السلطان الأيوبي صلاح الدين، حينما تقدم باقتراح في شعبان 585هـ/ أكتوبر (تشرين أول) 1189م يتضمن استعداده إطلاق سراح أسقف مونستر Munster ومرافقيه من الأسر، ولكن رد الإمبراطور البيزنطي جاء حين أعلن صراحة بأنه متمسك بصداقته والتزامه بتعهداته للسلطان الأيوبي.

ويتضح هذا الموقف في عدم تراجعه عن التزامه بعدم السماح للقوات الصليبية الألمانية بالمرور عبر أراضي إمبراطوريته إلى البلاد الآسيوية، بل وجه لها حوالي شهر شوال 585هـ/ أواسط شهر نوفمبر (تشرين ثاني) 1189م كتابا شديد اللهجة، جاء فيه أن تراقيا (ثراس) Thrace ستكون بمثابة الضربة القاضية ولن يستطيعوا الخروج منها

أحياء. وردا على هذا الموقف الحاد، اتخذ بربروسا Barbarossa قرارا جريئا بتعزيز قواته العسكرية وشن غارات مكثفة على المواقع البيزنطية، حيث تمكنت جيوشه المدربة تدريبا عسكريا عاليا من فرض حصارها على أدريانوبل Adrianople (77) (أدرنة)، وامتدت استراتيجيته العسكرية وتكتيكاته إلى أبعد من ذلك، حين وضع مع كبار قادته ومستشاريه خطة محكمة تهدف إلى فرض حصار عسكري على العاصمة البيزنطية القسطنطينية وتهديده باحتلالها.

ومن المفيد هنا التنويه إلى أنه في الفترة التي سبقت شهر محرم 586هـ/ فبراير (شباط) 1190م نجد أن الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus قد أصيب باليأس وخيبة الأمل من عدم التزام الجانب الإسلامي تزويده بالأسلحة والذخائر العسكرية من أجل تمكينه من الصمود والمقاومة والقدرة على مواجهة الحملة الصليبية الثالثة، ورأى في ترفعه عن الاتصال والتواصل مع الإمبراطور الصليبي قد أضرّ في مصلحته التي كان يرجوها، حين استسلم للهزيمة التي تكبدتها جيوشه وقبوله مرغما على القبول بمعاهدة أدريانوبل Adrianople التي أعطت الإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa حرية الوصول إلى البلاد الآسيوية مرورا بأراضي الإمبراطورية البيزنطية دون تعرضه لأي خطر، واشترط لذلك أن يكون لديه مجموعة من الرهائن البيزنطيين، لكي يضمن له مرورا آمنا ويكفل لقواته السلامة من جانب القوات البيزنطية المرابطة على حدود الإمبراطورية.

حاجة الإمبراطور البيزنطي الماسة للتواصل مع السلطان الأيوبي إثر انتصارات الإمبراطور الصليبي

إن التفوق العسكري وانتصارات الإمبراطور الصليبي بربروسا Barbarossa المتتابعة قد جعلت الإمبراطور البيزنطي إسحق انجيلوس Isaac Angelus معنيا أكثر من أي وقت في أن يستمر في تواصله مع السلطان صلاح الدين الأيوبي، حين بعث له خلال شهر شوال 585هـ/ ديسمبر (كانون أول) 1189م برسالة شديدة الأهمية حملها أحد الرسل الذين يأمن إليهم ويلتحقون بواحدة من الفرق العسكرية عوضا عن المبعوث المتوفي كما ذكر آنفا، في الوقت الذي كانت فيه القوات الإسلامية منشغلة بالتصدي لطلائع الصليبيين في أثناء تمركزهم أمام أسوار مدينة عكا استعدادا لحصارها والاستيلاء عليها [78]. وقد أبدى الإمبراطور البيزنطي في رسالته هذه مزيجا من الشفقة والعطف على الذات، ثم تبجحه وتظاهره بالحماسة والشجاعة وما كان يأمل به من مواقف صلبة ومتماسكة من جانب السلطان صلاح الدين الأيوبي.

ويلاحظ أن هذه الرسالة بلا ريب أصيلة واضحة المعاني، تخلو من التزوير أو التلاعب بألفاظها، وهي كذلك بعيدة عن التكلف أو الرياء، ومن الجدير ذكره أن فحوى رسالة الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus هذه إلى السلطان الأيوبي قد تمّ الاحتفاظ بها في كتاب "سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي"، الذي وضعه أحد كبار مستشاريه. وتضمنت الرسالة هواجس الإمبراطور البيزنطي وشكوكه الشديدة في اللحظات العصيبة والحساسة من التواصل بين الجانبين بشأن التحالف والقيام بأعمال مشتركة ضد الحملة الصليبية الثالثة، وفضلا عن هذا كله، فقد ورد وصف لهذه الوثيقة المهمة بأنها دونت بأسطر عرضية، ولكنها في الوقت ذاته أقل عرضا من طريقة الكتابة التي كانت سائدة في بغداد، وترجم ظاهر الكتاب وباطنه بسطرين إثنين بينهما فرجة (مسافة) تمّ مهرهما (ختمهما) بالذهب ودمغا بطابع من الشمع بلغت قيمته حوالي خمسة عشر دينارا [79] ويحمل صورة الإمبراطور البيزنطي، ومما ورد في هذين القسمين ما يأتي:

"من إيساكيوس (إسحق Isaac) الملك المؤمن بالمسيح الإله، المتوج من الله المنصور أبدا "أفغاكوس" [80] Afghakus (إمبراطورا Imperial) المدبر من الله الذي لا يغلب، ضابط الروم بذاته أنكيلوس (أنجيلوس Angelus) إلى النسيب سلطان مصر صلاح الدين".

"صديق الوجدان والمودة، وقد وصل خط نسبتك الذي أنفذت إلى ملكي وقرأناه

وعلمنا منه أن رسولنا توفي، وحزنّا حيث توفي في بلد غريب، وما قدّر له أن يتم كما رسم له ملكي، وأمره أن يتحدث مع نسبتك أن تهتم بإنفاذ رسول إلى ملكي ليعرف ملكي ما بعثت إليك مع رسولي المتوفي. وأما القماش الذي خلفه ووجد بعد موته ينفذ إلى ملكي لنعطيه أولاده وأقاربه، وما أظن أنه سمّع نسبتك أخبارا، وأنه قد سار في بلادي الألمان. وما هو عجب فإن الأعداء يرجفون بأشياء كذب على قدر أغراضهم، ولو تشتهي أن تسمع الحق فإنهم تأذّوا وتعبوا أكثر مما آذوا فلاّحي بلادي، وقد خسروا كثيرا من المال والدواب والرحل والرجال ومات منهم كثير، وقتلوا وتلفوا، وبالشدة قد تخلّصوا من أيدي أجناد بلادي. وقد ضعفوا بحيث أنهم لا يصلون إلى بلادك، وإن وصلوا كانوا ضعافا بعد شدة كثيرة، ولا يقدرون ينفعون جنسهم ولا يضرّون نسبتك، وبعد ذلك كله، العجب كيف نسيت الذي بينك وبيني، وكيف ما عرفت لملكي شيئا من المقاصد والمهمات ما ربح ملكي من محبتك إلاّ عداوة الفرنج وجنسهم، ولا بد لنسبتك كما كتبت لملكي في كتابك الذي قد نفذت إلينا من إنفاذ رسول حتى يعرفني جميع ما قد كتبت إليك في القديم من الحديث، ويكون ذلك بأسرع ما يمكن، ولا تحمل على قلبك من مجيئ الأعداء الذين قد سمعت بهم، فإنّ إدبارهم على قدر نيّتهم وآرائهم، وكتب في أيام سنة 1501" [سبتمبر (أيلول) 1189 – 31 أغسطس (آب) 1190م] [81].

ويلاحظ أنّ الأسلوب الذي جاءت به رسالة الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus واللهجة التي تحملها للسلطان صلاح الدين الأيوبي تتسم بطابع التذمر والشكوى وتثبيطا للعزيمة وتكرارا للمطالب واستجدائها، وتحديدا واضحا للأهداف التي كان السلطان صلاح الدين يتوق إلى تحقيقها، لا سيّما وأنها تحمل روايات متناقضة حول مدى نجاح القوات الصليبية في اجتياز الأراضي البيزنطية وعبورها إلى الأراضي السورية. ولا جدال أنّ هذا كله قد شكّل انعكاسا سلبيا على مشاعر الإمبراطور البيزنطي ونفسيته، فخيّبت آماله وحطّمت طموحاته التي تجلّت في إخفاقاته المتلاحقة أمام الجيوش الصليبية وفشله الذريع في إلحاق الهزيمة بها وإجبار الإمبراطور الصليبي بربروسا Barbarossa العدول عن مشروعه والعودة إلى بلاده. فضلا عن امتعاضه الشديد وسخريته من مماطلة السلطان صلاح الدين وتسويفه.

أثر موقف السلطان صلاح الدين الأيوبي على علاقة الإمبراطور البيزنطي مع الإمبراطور الصليبي

شكلت كل هذه التطورات والمواقف السلبية – على حد زعم البيزنطيين– التي تسببت في توتر العلاقات بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي كما ورد في رسالة الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus للسلطان صلاح الدين الأيوبي نقلة نوعية في العلاقات البيزنطية الصليبية، وانتقالها من مرحلة العداء وتكبد الخسائر البشرية والمادية الجسيمة إلى مرحلة جديدة، فخلال شهري محرم وربيع الأول 586 هـ/ فبراير (شباط) وإبريل (نيسان) من عام 1190م، وفي فترة تاريخية وصفت بالحرجة وعمق حساسيتها، استطاع الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus والإمبراطور الصليبي بربروسا تجاوز كثير من الخلافات وأن يتوصلا إلى بناء علاقات تقوم على نوع من التفاهم وتبادل وجهات النظر ثم إصدار أوامره للقوات المتمركزة على حدود الإمبراطورية بالسماح للجنود الصليبيين بقيادة فردريك بربروسا Frederick Barbarossa بمرورها عبر المضائق والمنافذ البرية والبحرية الخاضعة لسيادتها.

ولكن على الرغم من كل المواقف التي استجدت على الساحة، فإنّ الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus ظلّ متوجسا من الآثار السلبية التي قد تترتب عليها علاقاته مع الجانب الإسلامي وبلوغها إلى نقطة اللاّعودة بعد نجاحاته الدبلوماسية في الاتصال مع الإمبراطور الصليبي. ولهذا أخذ أنجيلوس Angelus يهدئ من روع السلطان الأيوبي صلاح الدين، حين سارع إلى أن يبعث له برسول يحمل كتابا يذكّره فيه بأنه لا زال ثابتا على موقفه في إقامة صلاة عامة في جامع القسطنطينية والدعاء له من على منبره باسم الخليفة العباسي (82). وسوّغ في كتابه علاقته بالإمبراطور الصليبي بربروسا Barbarossa بأنّه كان مرغما على هذا الموقف، ولم يكن عن رضاه وطيب خاطر، واستطرد قائلا إنّ الإمبراطور الصليبي وجيوشه ليست في كامل جاهزيتها ما يمكّنها من خوض معارك طويلة، بغية تحقيق هدفها في الوصول إلى البلاد السورية والأراضي المقدسة.

وبهذا الشأن، ورد في كتاب الروضتين ما نصّه: " ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا ويذكر تمكينه من إقامة الجمعة بقسطنطينية والخطبة، وأنه مستمر على المودة وراغب في المحبة، ويعتذر عن عبور الملك الألماني، وأنه قد فجع في طريقه بالألماني، ونال من الشدة ونقص العدة ما أضعفه وأوهاه، وأنّه لا يصل بلادكم فينتفع بنفسه أو ينفع، ويكون مصرعه هناك ولا يرجع، ويمت بما به كاده، وأنه قد بلغ في

أذاه اجتهاده، ويطلب رسولا يدرك به من السلطان سؤلا، فأجيب في ذلك إلى مراده، ووقع الاعتداد بما ذكره من اعتداده [83].

نداءات الإمبراطور البيزنطي للسلطان الأيوبي وزحف القوات الصليبية عبر حدود آسيا الصغرى (تركيا)

أخذ الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus يعيد تأكيداته للسلطان صلاح الدين الأيوبي بأنه لا يزال عند حسن ظنّه وأنّه لن يتوانى عن القيام بكل ما يمكن فعله في مواجهة جيوش بربروسا Barbarossa وإحباط مشاريعها، في رغبة منه أن يلبي الأخير نداءاته وأن يبعث له أي للإمبراطور البيزنطي برسول يحمل ردودا واضحة باستمرار التواصل وتبادل الرسل والتصدي للخطر المشترك الذي تشكله الحملة الصلبية الثالثة، وأن يستجيب لدعوته بإقامة صلاة عامة في جامع القسطنطينية، ووفقا لما ورد عند المؤرخ عماد الدين بن شداد [84] أمين سر السلطان الأيوبي يتضح أن موقف السلطان صلاح الدين من هذه المطالب والرغبات قد اتسم بالإيجابية، فلم يرد عليها بالرفض أو التقليل من شأنها. وليس من المستبعد أن يكون هذا هو أحد الأسباب التي دفعته إلى أن يسارع إلى تشكيل سفارة جديدة ويبعث بها إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus في العاصمة البيزنطية القسطنطينية.

وفي الفترة التي أخذت تنشط فيها المراسلات بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي، كان الإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa قد غادر بقواته العسكرية أراضي الإمبراطورية البيزنطية وزحف بها عبر حدود آسيا الصغرى (تركيا) متجها بها نحو عاصمة سلاجقة الروم قونية [85] Iconum، فحاصرها وشدد في حصارها، وعلى الرغم من استبسال أهلها في الدفاع عنها وجهودهم المضنية في تجنيب أهلها خطر الهلاك، إلاّ أنها في النهاية وتحت الضربات العنيفة واستخدام وابل من الأسلحة والقذائف النارية واقتحام أسوارها المنيعة سقطت المدينة في قبضة القوات الصليبية.

تحليل ومناقشة عوامل نجاح الإمبراطور الصليبي بربروسا *Barbarossa* في اجتياز الأراضي البيزنطية وعبور حدود آسيا الصغرى (تركيا اليوم)

يمكن القول هنا إنّ الانتصارات الكبيرة التي بدأت تتحقق للجيوش الصليبية، سواء باجتيازها للأراضي التابعة للسيادة البيزنطية أو بعبورها حدود الدولة السلجوقية في طريقها إلى الأراضي المقدسة، سيبدو للسلطان صلاح الدين الأيوبي عدم صحة ما كان قد صدر على لسان الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus من ادعاءات ترتبط بقدرته واستعداداته العسكرية في أن يهلك عُشر الجيش الصليبي، بل إنّ تصريحاته أصبحت ضرب من الخيال والوهم والتكهن الزائف الذي لا يمتّ للحقيقة بأيّة صلة، في الوقت الذي أعلن فيه الإمبراطور الصليبي بربروسا Barbarossa بأنّ عدد القتلى في صفوف جيشه في تراقيا Thrace لم تزد عن مئة جندي حتى يوم 7 شوال 585 هـ/ 18 نوفمبر (تشرين ثاني) 1189 م، بعد أن خاض مع البيزنطيين في مختلف المدن التابعة لهم ما يعرف بحرب العصابات التي وصفت بالعنيفة والشرسة. وما وقع من اشتباكات بين الطرفين تكشف زيف ادعاء الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus في تصديه للإمبراطور بربروسا Barbarossa ومحاولة الحد من نجاحاته العسكرية على الرغم من قلة عدد الخيول القتالية التي كانت تمتلكها القوات الصليبية المحاربة.

يتبين من مجريات هذه الأحداث وتطوراتها المتسارعة، أنّ هجمات الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus وما وقع من معارك واشتباكات مع الإمبراطور الصليبي لم تكن سوى استعراض للقوة ولم تحقق الأهداف المتوخاة منها، وقد استطاع السلطان صلاح الدين الأيوبي أن يدرك هذه الأخبار من خلال عيونه ومخابراته (86)، الذين انتشروا في أنحاء مختلفة من بلاد آسيا الصغرى (تركيا اليوم). ولعل أكثر البلاغات والتقارير التي وصلت إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي وتشكّل محل دراسة واهتمام تلك الصادرة عن أحد الأساقفة ويدعى باسيل Basil أسقف مدينة العاني Ani (87)، وهو مسيحي كاثوليكي من أرمينيا Armenia (88) وينتمي إلى السلالة البارثية Arsacid (89)، وكان هذا الأسقف الكاثوليكي قد فضّل التعاون والتقرب من السلطان صلاح الدين الأيوبي وتقديم المعلومات خدمة له، رافضا بصورة قاطعة تأييد اللاتين الذين ينتمون إلى السلالة الروبينية Roupenids (90) أو موالاتهم.

وتعود أهمية بلاغات الأسقف باسيل Basil إلى أنها تتضمّن رواية وصفت بشدة المبالغة وبعدها عن الحقيقة والصواب، إذ أشار إلى قسوة الألمان وجبروتهم، وفي الوقت

نفسه التزامهم بالنظام وحسن الانضباط، ومدى قدرتهم على التحمل والجلد، إلى حدّ جعلت المؤرخين العرب يصفون حالة الرعب والفزع التي انتابت المسلمين ما خبروه عن الإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa قبل أن يصل معسكرهم الذي كانوا يرابطون فيه استعدادا لمواجهة قواته. ولكن ما حدث وأراح الآخرين من ظلمه وبطشه، هو تعرّضه للموت غرقا في نهر الساف Sava [91]، مما تسبب في وقوع حالة من الفوضى والإرباك في صفوف جيشه الذي تعرّض للهزيمة والانهيار، فتحطّمت عزيمته وضعفت معنوياته.

الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس *Angelus* يصرّح للسلطان الأيوبي تصدّيه للحملة الصليبية الثالثة وعرقلة تحركاتها

ومنذ ذلك الحين، نجد أن السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يعد يقلل من شأن وقيمة المعلومات التي يدلي بها له الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus فيما يخصّ تلك المتعلقة بأعداد جيوش الغرب الأوروبي المشاركة في مشروع الحملة الصليبية الثالثة وانطلاقها، ففي صيف 586 هـ/ 1190 م، أبلغ الإمبراطور السلطان الأيوبي سرّا بمرور القائد الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa عبر المضائق، وتعرّض قواته لصعوبات وعراقيل من جانب البدو التركمان [92] Turkomans الذين كانوا يقيمون على حدود سلطنة الروم السلجوقية، إذ شكلت تلك العراقيل خطورة كبيرة على تحركاتها.

وعلى الرغم من أنّ السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يعد يبادل الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus هذا الوفاء والإخلاص، فإن الأخير لم يتردد في أن يبعث له مرّة تلو الأخرى برسله محمّلين بأنواع مختلفة من الهدايا التي لا تقدّر بثمن وبرسالة مكتوبة وأخرى شفويّة، وجرى استقبالهم من العادل أخو السلطان صلاح الدين ووزير خارجيته القاضي الفاضل [93]، الذي احتفظ في ديوان الإنشاء برسالة البيزنطيين وإفادتهم.

فقد أفاد الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus في رسالته هذه للجانب الإسلامي بكل فخر واعتزاز بأنه رفض أن يستجيب للدعوة التي وجهها له الغرب تلبية مطالبهم بتقديم ما أمكن من عون ومساعدة، وأنه أقدم على إغلاق المنافذ المرورية وشيّد حصونا وقلاعا لمراقبة تحركات الصليبيين وحماية حدود بلاده من خطرهم الداهم. وفضلا عن هذا كله، فقد تضمنت رسالته اعتذاره للاّتين عن عجزه المشاركة إلى جانب قوات الحملة الصليبية في حروبها أو تزويدها باحتياجاتها من المؤن بدعوى وباء الطاعون الذي حلّ بالإمبراطورية وما سببه من كارثة بشرية وخسائر مادية فادحة.

إنّ مثل هذه التصريحات التي حملتها السفارة البيزنطية جعلت القاضي الفاضل إلى أن يعاود تقييم رسالة الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus فدرسها بعناية ووجد أنها تحمل في طياتها مواقف إيجابية تخدم الجانب الإسلامي، وبخاصة ما تضمنته صياغتها من عوامل ومسوّغات أدت إلى تراجع البيزنطيين عن مساندتهم للقوات الصليبية. ويعتقد أن مثل هذا الموقف الذي كان من المستبعد صدوره يعزى إلى شكوى الملك العادل واحتجاجه شديد اللهجة على سياسة الإمبراطور المتأرجحة وغير الثابتة تجاه

الإمبراطور الصليبي بربروسا Barbarossa، وأنه صار عليه لزاما أن يعلن صراحة وبكل تجرد عن استعداده في الدفاع عن أراضيه وأملاكه من الخطر الصليبي خدمة لمصالحه ومصالح حلفائه المسلمين في آن واحد.

الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus يعرض على السلطان صلاح الدين فرض سيادته على الأماكن المسيحية في المدينة المقدسة

من بين القضايا الأخرى التي تناولتها سفارة الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus للسلطان صلاح الدين الأيوبي قضية السيادة على الأماكن المسيحية في المدينة المقدسة، سيما وأن بطريركيتها في هذه الفترة التاريخية (أي بعد تحرير المدينة من الصليبيين)، وبناء على موافقة اللاتين الغربيين تقع تحت مسؤولية الإمبراطور ريثما يستطيع حاكم من الغرب الأوروبي ذو قوة ونفوذ وقدرة على السيطرة من استعادة فرض السيادة عليها ثانية. وادعى هذا الإمبراطور أن موافقة اللاتين على هذه السيادة واعترافهم بها هو ما شجعه على أن استبعادهم عن التدخل في أموره الشخصية أو القرارات الصادرة عنه، وبخاصة القرار الذي تجرأ على اتخاذه ويقضي بالسماح للمسلمين بالدعاء للخليفة العباسي [الناصر لدين الله] في خطبة يوم الجمعة في جامع العاصمة القسطنطينية. ولكن، وحسبما ورد في رسائل القاضي الفاضل، فإن رغبة الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus بالسيادة على الأماكن المسيحية وأملاكها في الأراضي المقدسة قوبلت بالرفض التام من جانب السلطان صلاح الدين الأيوبي، بل رفض حتى طلبه بانضمام حشود من القوات الإسلامية إلى صفوف البيزنطيين في أثناء شن هجوم عسكري على قونية Iconum ضد القوات الصليبية التي استولت عليها.

ومع أنّ الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus وردا على موقف السلطان صلاح الدين الذي لم يكن مؤيدا لمطالبه، فقد شرع أكثر من مرة في البحث عن عقد تحالفات جديدة مع الغرب الأوروبي بعد تنامي قوة هنري السادس الهوهنشتافن (94) Henry VI of Hohenstaufen، ومع ذلك، لم يفقد الإمبراطور أمله كليا في أن يتراجع السلطان الأيوبي عن مواقفه ويلبي له رغباته في بسط السيادة على الأماكن المسيحية في المدينة المقدسة، ففي جمادى الأولى 1/ 5/ 588 هـ/ الخامس عشر من مايو (أيار) 1192 م، وصل سفير بيزنطي قادما من العاصمة القسطنطينية والذي سمح له بمقابلة السلطان صلاح الدين بعد يومين من وصوله بيت المقدس.

في أثناء اجتماعه بالسلطان الأيوبي طرح السفير البيزنطي مسائل عدة، من بينها، رغبة الإمبراطور بإعادة صياغة بعض البنود الواردة في المعاهدة والتزام الطرفين بالتمسك بها كما اتفق عليها سابقا، وأضاف البيزنطيون إلى مطالبهم مطلب آخر لا يقل أهمية عن غيره وهو حقهم بالصليب المقدس True Cross (وهذا الصليب هو أحد الذخائر

المسيحية التي استولى عليها السلطان صلاح الدين)، وإلى جانب هذه القضايا، كرر السفير البيزنطي ما كان يريده الإمبراطور البيزنطي بملكية المسيحيين الأرثوذوكس [الشرقيون] للكنائس المنتشرة في أنحاء مختلفة من المدينة المقدسة، (والتي كان السلطان الأيوبي يعتزم التنازل عنها لصالح رجال الدين اللاتين كجزء من ثمن رحيل الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart وانسحابه وجيشه من الأراضي المقدسة وعودته إلى بلاده). وفوق هذا وذاك تقدم السفير البيزنطي باقتراح مفاده عقد تحالف بين القوتين الإسلامية والبيزنطية والوقوف بثبات في حالة تعرّض أي من الطرفين لأي هجوم أو اعتداء خارجي. وعلاوة على كل ما سبق، دعا السفير البيزنطي السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى المشاركة في الحملة العسكرية البحرية ضد جزيرة قبرص وإعادتها للسيادة البيزنطية [95].

رد السلطان الأيوبي
على مقترحات الإمبراطور البيزنطي ومطالبه

وإذا كان السلطان صلاح الين الأيوبي قد رفض الأفكار والمقترحات التي ألحّ عليه سفير الإمبراطور البيزنطي بقبولها من أجل تحقيق مصالح تخدم الجانبين حسب وجهة نظره، إلاّ أنه أي السلطان الأيوبي لم يغلق باب المفاوضات، فبعث من جانبه وعلى وجه السرعة بسفير يدعى ابن البزاز المصري (96)، إلى البلاط الإمبراطوري في القسطنطينية بصحبة السفير البيزنطي بعد انتهاء مهمته التي جاء من أجلها إلى المدينة المقدسة.

وكعادته التي سار عليها في إكرام ضيوفه وحسن وفادتهم، وتقديره للإمبراطور البيزنطي إسحق انجيلوس Isaac Angelus أرسل له السلطان صلاح الدين الأيوبي بصحبة السفيرين عندما استعدا لمغادرة الأراضي المقدسة في طريقهما للعاصمة البيزنطية القسطنطينية بهدايا ثمينة ونفيسة، شملت مجموعة من الخيول والحيوانات الأليفة والبرية النادرة من بلاد مصر وليبيا، بالإضافة إلى عود الصبار والبلسم وسبعة وعشرين من سروج الخيل المرصعة بمختلف أنواع الحلي والجواهر، وقدّر البيزنطيون قيمة هذه الهدايا بحوالي "6675" ستة آلاف وستمائة وخمس وسبعين قطعة هيبربرون (97) hyperperus) وهي قطعة ذهبية بيزنطية أثقل بعض الشيء من الجنيه الإنجليزي الذهبي).

وفي أواخر فصل الصيف وبدايات فصل الخريف أبحر السفيران البيزنطي والإسلامي نحو العاصمة القسطنطينية على متن إحدى سفن البندقية المعروفة على وجه الدقة باسم بوردانو Pordano وفي عرض البحر وعلى مقربة من جزيرة رودس Rhodes تعرضت هذه السفينة صدفة ودون إنذار أو تخطيط مسبق لأسطول قرصنة يتبع الجنويين والبيازنة بقيادة شخص يدعى غوليلمو غراسو Guglielmo Grasso الذي وصف بالتهور وعدم المسؤولية، وقدرته في أن يصنع من نفسه مصدر رعب وقلق في المنطقة، ولهذا تعرضت سفينة البندقية لعملية سطو ونهب، وملاحقة عيون السلطان صلاح الدين الأيوبي والإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus وإنهاء حياتهم بالموت.

ومن بين الذخائر الدينية النفيسة التي جرى الاستيلاء عليها في عملية القرصنة قطعة من الصليب المقدس، ففي إحدى الروايات التي جاءت متأخرة أن أحد القراصنة البيازنة ويدعى فورتي Forte استولى على هذه القطعة التي كان السلطان صلاح الدين الأيوبي كما يبدو قد قدمها كهدية للسفير البيزنطي في أثناء مقابلته له في المدينة المقدسة، ثم

أودعها في قلعة بونيفاسيو [98] Bonifacio التي تتبع البيازنة وتقع على ساحل كورسيكا [99] Corsica، وظلت قطعة الصليب المقدس في هذه القلعة إلى أن تمكن الجنويون من مصادرتها ليجعلوها إحدى كنوز [مدينتهم جنوا] وآثارها القديمة.

ترتّب على تصرفات البيازنه والجنويين في اعتراض سفينة البندقية التي كانت تقل السفيرين الإسلامي والبيزنطي ومصادرة حمولتها من الهدايا والذخائر وبخاصة قطعة الصليب المقدس إلى أن يعبّر الإمبراطور البيزنطي أسحق أنجيلوس Isaac Angelus في ذي القعدة 588 هـ/ تشرين ثاني 1192 م عن غضبه الشديد وتذمره القاسي وأن يقرر إلى اللجوء إلى القضاء ويطالب بتعويضه عن الخسائر المالية والمادية الكبيرة التي تكبدتها سفينة البندقية.

مستقبل العلاقات بين الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس *Angelus* والسلطان صلاح الدين الأيوبي

بعد هذه الحادثة التي تسبب بها البيازنة والجنويون، نلاحظ بروز واقع جديد في العلاقات الإسلامية البيزنطية الإسلامية البيزنطية، حين نجد أن علاقات الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus واتصالاته قد أصابها نوع من التراجع والفتور مع السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى درجة أنها بدأت تخبو شيئا فشيئا، وبخاصة بعد أن وصل الأخير إلى قناعة شبه تامة بأن الإمبراطور البيزنطي لم يعد بالشخصية التي يركن إليها في السيطرة على حدود بلاده وأراضيه بعد أن استنزفت الحملة الصليبية الثالثة معظم طاقته العسكرية، وتلاشي كفاءة قادته وجيوشه في ميادين المعارك القتالية. وفي المقابل، أدرك الإمبراطور من جانبه أنّ السلطان الأيوبي أبعد ما يكون عن امتلاك القدرة والإمكانات العسكرية الكافية التي تجعله قادرا على حمايته والدفاع عنه من اللاتين الغربيين، ولذلك نجده أي الإمبراطور البيزنطي بوفاة السلطان صلاح الدين 589 هـ/ 1193 م بدأ يتردد عن سياسة التحالف وبناء تعاون عسكري مع الجانب الإسلامي وأخذ يتطلع إلى استمالة بيزا وجنوا والبابا في روما والصقليين والإسكندنافيين [100]، من أجل إرساء علاقات تحالف جديدة، قد يجد فيها فرصة نادرة في أن يحرّر نفسه ويتخلص من تبعيته السابقة للجانب الإسلامي.

وعودة إلى هذا الموضوع، فقد شكّل التحالف والحوار البيزنطي الإسلامي منذ عام 581 – 588 هـ/ 1185 – 1192 م حجر زاوية في سياسة البيزنطيين تجاه الغرب الأوروبي، فهي في حالة عداء وتخاصم مع النورمان والبيازنة والجنويين والإمبراطور الألماني فردريك بربروسا Frederick Barbarossa عدا عن عدائه مع البابا [101]، ولذلك، استندت الإمبراطورية البيزنطية الشرقية إلى تمدد القوة الإسلامية واتساعها، حيث شملت الديار المصرية وأجزاء واسعة من البلاد السورية، تلك القوة التي جعلت الإمبراطور البيزنطي Isaac Angelus يستعيد الثقة بنفسه وتدفعه إلى الإحساس بالأمن والطمأنينة، ويتخطى كثير من الصعوبات والمشاكل التي كانت تعترضه، وفي مقدمتها عداوته التي تفجرت مع الإمبراطور الصليبي بربروسا Barbarossa.

وبناء على المعاهدة التي أبرمها السفراء البيزنطيون مع الجانب الإسلامي كما ورد آنفا، كان ينبغي على الإمبراطور البيزنطي أن يواجه ويتصدى لأيّ من الجيوش الصليبية إذا ما حاولت اختراق حدود إمبراطوريته، ومن قبله كان كل من الإمبراطور أندرونيكوس

Andronicus والإمبراطور كومنين Comnenus قد تلقوا وعودا من السلطان صلاح الدين الأيوبي باستعادة جزيرة قبرص وإنهاء حالة الفوضى والتمرد فيها، إلى جانب حق البيزنطيين في استعادة ملكيتهم للأراضي المقدسة وترسيخ حدود أسيا الصغرى (تركيا اليوم) إلى ما كانت عليه في القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ولكن فشل التحالف مع السلطان الأيوبي في نهاية المطاف ووقف كل أشكال العلاقات التي كانت تنسج بهدوء مع الجانب الإسلامي أعطى الإمبراطورية مساحة في تغيير سياستها معه والتحوّل إلى سياسة التقارب وبناء علاقات سياسية جديدة مع القوى الغربية الصغرى، من أجل توجيه ضربة قاسية ضد أهداف هنري السادس Henry VI الوصي على عرش ألمانيا وكبح جماح طموحاته.

آثار التحالف الإسلامي البيزنطي على الأحداث وتطورها في الشرق وتقييمه

رأى بعض المؤرخين أن التحالف الإسلامي البيزنطي كان له الأثر الكبير في سير الأحداث وتطورها في الشرق، فعلاقات الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus على سبيل المثال مع الملكانيين Melkites قد تكون لعبت دورا له شأنه الفاعل في سرعة التنازل عن المدينة المقدسة واستسلامها للجانب الإسلامي بعد انتصاره في معركة حطين عام 583 هـ/ 1187 م، على الرغم من أن المدينة في هذه المرحلة وبعد الهزيمة النكراء التي لحقت بالصليبيين كانت تمر في ظروف سياسية وعسكرية عصيبة ما جعلها غير قادرة على الصمود والمقاومة أمام جحافل المسلمين ونشوة انتصارها.

ونلمس تأثيرات التحالف وتبادل الرسائل والأفكار بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus من خلال ما لحق بحملة الإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa التي كانت تتميز بتطور عتادها العسكرية وحسن انضباط أفرادها؛ من فوضى واضطراب في أثناء سيرها باتجاه الأراضي المقدسة، بسبب هجمات الإمبراطور البيزنطي عليها وتعمّده إعاقة حركتها، عدا عن المتاعب والمعاناة الشديدة التي ألمت بالصليبيين الناجمة عن صعوبة تضاريس المنطقة وقسوة ظروفها المناخية التي وصلت إلى درجة فاقت فيها كل ما كان يرمي إليه الإمبراطور البيزنطي نفسه.

وعلى ضوء هذا التعاون وإبرام اتفاقيات تحالف بين الجانبين البيزنطي والإسلامي، يمكن القول إنّ البيزنطيين حققوا نجاحات ملموسة في تواصلهم مع السلطان الأيوبي صلاح الدين، على الرغم من بقاء قونية Iconum بأيدي المسلمين ووقوع بعض كنائس الأرض المقدسة التي كان يطمع الأرثوذوكس بفرض سيادتهم عليها في قبضة اللاتين، تلك السيادة التي كانت من بين المسوّغات التي جعلت تحالف البيزنطيين مع السلطان صلاح الدين يمتد إلى ما قبل وفاته. ولكن هذه الضرورة لم يكتب لها الدوام، فتحالف الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus الذي كان أمرا مقدرا بدأ يتجه تدريجيا نحو مسار التقارب مع الجانب الصليبي فرضها تبدل أحوال المشرق وتطورها.

ويرى بعض المؤرخين أنّ قبول البيزنطيين بفتح قنوات من الحوار والتحالف مع الجانب الإسلامي قد ترتب عليه نتائج وخيمة مسّت بسمعتهم وحطّت من شأنهم، إذ واصل اللاتين

السوريون سياستهم في توجيه انتقاداتهم اللاذعة على مثل هذا التحالف الذي نعتوه في مختلف مدن وبلدات الغرب الأوروبي بصفات العيب والنقيصة، ووجد الإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa بينما كان يتواجد في تراقيا Thrace في هذه الدعاية فرصة طيبة للتشهير بهم، فأصدر بتعليماته إلى ابنه يحثه فيها على مطالبة البابا بإلقاء خطبة وموعظة أمام جموع الحملة الصليبية الثالثة، تتناول في ثناياها انتقادات ولوم شديد لحكام الإمبراطورية البيزنطية الذين جانبوا الصواب بحوارهم وتحالفهم مع الجانب الإسلامي.

ومع ذلك، فإن جهود الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion–Heart و فيليب أغسطس Philip Augustus والحملات الصليبية المتأخرة التي كانت تفضل التوجه نحو الأراضي المقدسة عبر البحر لم تفلح جميعها في فك ارتباطات الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus وعلاقاته مع أعداء الصليب على حد قولهم إلاّ بعد أن سيّر الغرب الأوروبي حملة جديدة نحو المشرق الإسلامي والتي عرفت باسم الحملة الصليبية الرابعة [102]، نظرا لما تمتع به رجالاتها من نفوذ وتأثير وما لعبوه من دور في إضعاف الثقة بالإمبراطورية الشرقية وتشويه صيتها وتقلص نفوذها. فطيلة القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وفي الفترة التاريخية التي انطلقت فيها الحملات الصليبية الأولى نحو الأراضي المقدسة، وما تخللها من خلافات ونزاعات بين الإمبراطور بوهمند [103] Bohemond والإمبراطور اليزنطي ألكسيوس كومنينوس [104] Alexius Comnenus وبعد الحملة الصليبية الثانية [105]، تشير جميعها إلى اتهامات وجهت للبيزنطيين بالاشتراك بصورة مباشرة أو غير مباشرة في العدوان الإسلامي وجرائمه على حد تعبيرهم، وهي في حقيقة الأمر مسوّغات تدين البيزنطيين وتحملهم مسؤولية وضع العراقيل أمام القوات الصليبية في أثناء سيرها نحو الأراضي المقدسة.

لقد نتج عن العلاقات الدبلوماسية بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والبيزنطيين وتحالفهما تحوّل واضح في ضعف نفوذ الإمبراطورية وذهاب هيبتها وتراجع درجة غرورها والتقدير الأممي لها. ففي الميدان السياسي حقق البيزنطيون مكانة مرموقة، إلى درجة وصلت بهم إلى أن يحظروا على أي أمة من الأمم أن تضاهيهم في مكانتهم وقدرتهم في التحكم والسيطرة منذ انتهاء الدولة الساسانية [106] وزوالها. ويعزو بعضهم نفوذ الإمبراطورية البيزنطية هذا وسطوتها إلى أنه كان بمثابة نداء الحق الإلهي للتنصير ونشر المسيحية واحتضانها، وأنها الحكومة القادرة على بسط سيادتها على العالم كله، ولم تحاول أي دولة أخرى أن تحلّ محلها أو تقترب منها إلا بعد أن تستنفذ كل وسائل التذلل والإقناع. في حين نجد صورة معاكسة تتجلى في التماس الأباطرة البيزنطيين أنفسهم

صداقة السلطان صلاح الدين الأيوبي ونيل الحظوة عنده، وسعيهم الدؤوب في كسب عطفه ومودته.

ومن الأمثلة الواضحة على سير البيزنطيين في هذا الدرب، ما تضمنه إعلان الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس Andronicus برغبته الصادقة في مبايعة السلطان الأيوبي وإقامة نوع من علاقات التحالف السياسي والعسكري معه. ومن جانب آخر، وحرصا على السير في هذا النهج الجديد، أرسل الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus مع سفرائه للسلطان صلاح الدين بهدية ثمينة، وهي عبارة عن تاج ورسالة أخرى، يشير فيها إلى حق البيزنطيين الشرعي والقانوني في نهجهم السلمي معه والقائم على التعاون والتحالف بما يحقق مصلحة كلا الطرفين الإسلامي والبيزنطي.

ولكن مع كل هذا وذاك، وعلى الرغم من حجم الجهود الكبيرة التي بذلت في هذا الشأن، فإنّ سياسة البيزنطيين الساعية إلى ترسيخ دعائم التحالف قد بدت عليها علامات الفشل والخيبة ولم يستطيعوا ما كانوا يرجون منها، حيث اصطدمت بسياسة مضادة من جانب السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أخذ يقلل من أهمية تحركاتهم ولم يعد يعتد بها. بل إن علاقتهم هذه وبعد فترة وجيزة رسخت حقائق سلبية جعلت الإمبراطورية البيزنطية تسير رغما عنها وعن غير قصد في طريق القبول بالخضوع والتبعية، إلى حدّ وصل بالإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus زعيم دولة تلاشت هيبته وغدا شريكا ضعيفا لا يستطيع أن يتصدى لما تعرضت له إمبراطوريته من أعمال تخريب وتدمير من جانب القوات الصليبية، وما تمخض عتها من خزي وإذلال. ولكن تردي الوضعين السياسي والعسكري لم يكن كافيا كي يعترف الإمبراطور البيزنطي بفشله، فظلّ الأمل يراوده بأنّ السلطان صلاح الدين في نهاية الأمر سيكافئه على وفائه وإخلاصه له.

وهكذا نجد أنّ ذرائع البيزنطيين في تحقيق تقارب مع الجانب الإسلامي بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي قد بدأت بالتلاشي والاندثار حين اصطدمت مع الحقائق السياسية غير الناجحة التي كانوا يمارسونها على الأرض سواء بالتهديد والوعيد الصادر عن أندرونيكوس Andronicus أو بالترغيب كما فعل أنجيلوس Angelus. وعلى ضوء ذلك يمكن القول أن الإرباك السياسي الذي عاشته الإمبراطورية البيزنطية خلال هذه الفترة كان سببا في عدم قدرة حكامها على استعادة نفوذها وترسيخ مبدأ سيادتها. ومما يجدر ملاحظته في هذا المقام، أن المؤرخ البيزنطي نايستاس شونياتس Nicetas Choniates الذي شغل منصب كبير موظفي الحكومة والذي كان يحرص بشدة على تدوين أي معلومات

أو أخبار مهمة شائعة بين عامة الناس في الغرب الأوروبي، لم يورد إي جملة تشير إلى وجود تحالف أو مفاوضات بين السلطان صلاح الدين الأيوبي وحكام الإمبراطورية البيزنطية(107).

وفي الختام يمكن القول، إنّ مفاوضات التحالف والتقارب بين الأعداء [المسلمون والبيزنطيون] قديما يعود إلى فشل ذريع في السياسة الداخلية، فالسلطان صلاح الدين الأيوبي من جهته كان أبعد ما يكون عن حماية الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus من خطر هجمات خصومه عليه. وفي المقابل كان البيزنطيون يعيشون ظروفا سياسية متقلبة جعلتهم غير قادرين على تقديم مساعدات جادة للقوات الصليبية. بل إنّ التقييم الإسلامي للتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية نعت بأنه تحالف ضعيف وهزيل لا يرقى إلى درجة التحالف الجاد والحقيقي. ويتضح ذلك من خلال رسالة القاضي الفاضل التي وردت في مدوناته، في الوقت الذي كان فيه جاي (108) Guy ملك قبرص نصير السلطان صلاح الدين الأيوبي وحليفه. ومما جاء في هذه الرسالة: " وهذا الملك العتيق [أي الملك جاي Guy] قد صار لمولانا [أي السلطان صلاح الدين] صديقا، وما سمي العتيق إلاّ لأنه صار لمولانا عتيقا، ولا اعتبار بحديثنا مع صاحب القسطنطينية في أننا ننجده على قبرص، فإنا إنما وعدناه بالنجدة عليها لما كانت بيد عدونا " (109).

ونخلص في هذه الدراسة المهمة في تاريخ العلاقات الإسلامية البيزنطية إلى نتيجة مفادها، أنّ تحالف البيزنطيين مع السلطان صلاح الدين الأيوبي ورغبتهم في التقارب معه قد أسهم بدرجة كبيرة في تصاعد خلافاتهم مع الأوروبيين الغربيين، وبلغت هذه العداوة حدتها في فترة تاريخية لاحقة في أثناء انحراف الحملة الصليبية الرابعة واستيلائها على العاصمة القسطنطينية. لقد سار هذا التحالف بالإمبراطورية البيزنطية إلى أن يصبح دورها ثانويا وأن يطيح بها كقوة وصلت أقصى درجات قوتها وامتداد نفوذها إلى قوة صغرى شرقي البحر الأبيض المتوسط، بعد تلاشي مكانتها السياسية والعسكرية.

خاتمة

خلال تاريخ مسيرته الجهادية والنضالية الطويلة، واستكمالا للدور الجهادي الكبير الذي سبقه إليه القائدان عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود اللذان سارا وفق خطة استراتيجية سياسية وعسكرية محكمة، من أجل تصفية الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي وتقويض أركانه في الأراضي المقدسة واستعادة مدينة بيت المقدس، تحرك السلطان صلاح الدين الأيوبي هو الآخر في مسارات رئيسة عدة تتبنى الموقف ذاته.

ويأتي في مقدمة هذه المسارات تفانيه في ترتيب شؤون البيت الداخلي للدولة الأيوبية الفتية، بتنظيم شبكة واسعة من العيون والجواسيس الذين عرفوا باسم "اليزك"، وإعادة تشكيلات الجيش وترتيبه، وغيرها من الخطوات التي تسهم في توطيد أركان دولته وفرض هيبتها، ثم دراسة ما ستتناوله مسارات العمل الجهادي الأخرى بالتنسيق مع كبار مستشاريه الذين كانوا يحرصون على إبداء الآراء السديدة وتبني الاقتراحات التي تخدم الصالح العام.

وتمثّل المسار الثاني بمشاغلة الصليبيين في معارك جانبية وخاطفة وبناء أسطول بحري قوي خصّص جزء منه لاعتراض الأساطيل القادمة من الغرب الأوروبي ومراقبة المنافذ المائية الواقعة تحت السيطرة الصليبية، وترمي خطوات السلطان صلاح الدين الأيوبي هذه إلى إشغال الصليبيين عن محاولة إعادة مجدهم العسكري السابق مستغلين حالة التشرذم والانقسامات التي تسببت بها الخلافات الإسلامية الإسلامية بعد الإطاحة بالحكم الفاطمي في مصر وترويض آل زنكي في الشام والموصل كما أشرنا آنفا ثم استمرار جهوده في التأثير على محاولات الصليبيين النهوض مجددا بعد الهزيمة التي ألمت بجيوشهم في معركة حطين 583 هـ/ 1187 م فقدوا فيها خيرة فرسانهم وأعداداً كبيرة من أفراد جيوشهم وما تبعها من خسائر مادية جسيمة كما ورد في كثير من المصادر الإسلامية والغربية المتوافرة.

اما المسار الجهادي الثالث، ما أولاه السلطان صلاح الدين الأيوبي وكبار رجال الدولة الأيوبية كبهاء الدين ابن شداد والقاضي الفاضل وغيرهما ممن حظي بثقة السلطان من اهتمام منقطع النظير بموضوع العلاقات الدبلوماسية مع الإمبراطورية البيزنطية القوة المؤثرة في نجاح المشروع الصليبي في الأراضي المقدسة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ورعاية تأسيس كيان جديد طارئ غريب في نظام حكمه وعاداته وتقاليده وقيمه على الرغم من الخلافات المذهبية الحادة بين البيزنطيين الشرقيين والغرب الأوروبي.

استغلّ الجانب الإسلامي بقيادة السلطان الأيوبي صلاح الدين الأيوبي موضوع التباين المذهبي والحضاري بين الأوروبيين من جهة والبيزنطيين من جهة أخرى، ليكون مدخلا يتيح له تبادل الرسل والسفراء الذين وقع على عاتقهم جهدا مضنيا في إحداث اختراق في سياسة الإمبراطورية البيزنطية والتدرج في إقناعها بأهمية التفاوض وإقامة حلف عسكري في مواجهة الصليبيين الذين كانوا يشكلون خطرا جديًا على الطرفين الإسلامي االبيزنطي، وبعد اتصالات مكثفة وصل الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus إلى قناعة تامة بإيجابية بناء علاقة مع الدولة الأيوبية والفائدة الكبرى التي ستعود على كلا الجانبين الإسلامي والبيزنطي في حالة موافقته على فك عرى الاتصال والتواصل مع الصليبيين الذين كانوا قد تلقوا دعما ومساندة من البيزنطيين مشكلين رافعة قوية في تأسيس كيان جديد في الأرض المقدسة بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى.

استند السلطان صلاح الدين الأيوبي في دعم مفاوضاته وتطويرها مع الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus على تقديم نوعين من الإغراءات، إغراءات مادية وأخرى سياسية، ففي النوع الأول، لم يبخل السلطان الأيوبي أن يبعث إلى نظيره البيزنطي بهدايا جزيلة ونفائس متنوعة من ثياب حريرية وعطور وخيول بأسلحتها وسروجها، ونباتات طبية وطيور وحيوانات برية وأليفة وغيرها، فاقت في نفاستها وقيمتها تلك الهدايا التي بادله إياها الإمبراطور نفسه. أما الإغراء الثاني، فهو الإغراء السياسي، وهو ما كان يطمح إليه البيزنطيون في أن يفي السلطان صلاح الدين بوعده الذي لاقى ارتياحا كبيرا بين مختلف شرائح المجتمع البيزنطي كما يبدو، بمد نفوذهم وبسط سيادتهم على كنائس وأديرة المدينة المقدسة بعد تحريرها وتخليصها من الحكم الصليبي. ولا شك أنّ مثل هذه المبادرة قد شكلت بعدا سياسيا كبيرا في العلاقات الإسلامية البيزنطية وانعكست آثارها الإيجابية على أهمية التنسيق العسكري الجاد بما يخدم الطرفين ويحقق هدفهما المشترك بشلّ النفوذ الصليبي وتقويضه، بعد أن أدركا خطره الجسيم على وجودهما وما يشكله من تهديد لأركان السيادة في بلد كل منهما.

ولكن على الرغم من المرونة السياسية التي كان يبديها السلطان صلاح الدين الأيوبي ورغبته الجادة في توطيد أسس علاقاته مع الإمبراطور البيزنطي التي تقوم على الثقة وتحقيق المصالح المشتركة، إلاّ أنّ هناك أحداثا استجدت على الساحة وبدأت تعكر صفو العلاقة الإسلامية البيزنطية، بعد أن علم السلطان صلاح الدين الأيوبي من خلال شبكة منظمة من عيونه ومخابراته "اليزك" التي انتشرت في ربوع البلاد البيزنطية عن بدء إجراء اتصالات بين الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus والإمبراطور الصليبي فردريك بربروسا Frederick Barbarossa تناولت تسهيل مرور جيوش الحملة الصليبية إلى

الأراضي المقدسة عبر المنافذ والممرات المائية والبرية البيزنطية. وعندما شعر الإمبراطور البيزنطي بفتور علاقاته مع الجانب الإسلامي وتذبذبها، سارع إلى إيفاد السفراء والرسل إلى السلطان صلاح الدين في محاولة جادة لإنقاذ الوضع بتأكيدهم على التزام الإمبراطور بالتصدي للحملة الصليبية الثالثة، إلاّ أن ذلك لم يحل دون تفاقم العلاقات بين الجانبين واستمرارها في حالة تراجع وانكسار، حيث انتهت جهود سنين عدة من المفاوضات المضنية بالفشل ودون أن تحقق الأهداف التي رسمت لها.

الهوامش:

1. إدوارد جيبون . اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج1 ، ترجمة علي أبو درّة ، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف 1969) ، ص505 . محمد محمد مرسي الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، (دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994م) ، ص332

Bynes and Moss . Byzantine , (Oxford , 1948) , p.53

2. ستيفن رنسيمان . تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ترجمة السيد الباز العريني ، (ط 3 ، 1413هـ / 1993م) ، ص20 – 21

3. أومان . الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، (القاهرة ، 1953م) ، ص15 ، ص111 – 113 . جوزيف نسيم يوسف . العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، (دار الفكر الجامعي ، 1983م) ، ص119 .

4. سيشار له فيما بعد .

5. ستيفن رنسيمان . تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص224 .

6. إسحق عبيد . روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني قنسطنطين 869 – 1204م (القاهرة ، 1970م) ، ص25 – 39

Peter Charanise . The Byzantine Empire in the Eleventh Century , in Setton , vol. 1, pp. 215 – 218 . Mayer, H . E., The Crusades, trans . by John Gillingham , (Oxford University, 1988) , p. 8

7. سيشار لها فيما بعد

8. لمزيد من التفاصيل عما كانت تتعرض له الإمبراطورية البيزنطية ، ينظر :

Anna Comnena. The Alexiad, trans. from the Greec by E.R.A. Swe-aer, (Penguin Books,1969) p.157. Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, trans . Hussey, J., (Oxford , 1980),pp.358 - 360 .Mequeen , W.B., Relation between the Normans and Byzantion, 56, (1986) , pp. 424 – 476

محمود سعيد عمران . الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها ، (دار النهضة العربية ، الإسكندرية ، 2002م) ، ص263

9. آرنست باركر. الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، (بيروت ، 1967) . قاسم عبده قاسم . ماهية الحروب الصليبية ، عالم المعرفة عدد 149 ، (الكويت ، 1990م) ، ص92

10. Peter Charanise. The Byzantin,pp.215-218.Leih, B., Ann Comnene, Alexiad, (Paris,1937),11,p.144. Mequeen,W.B., Relation,pp.424-476

محمود سعيد عمران . الإمبراطورية البيزنطية ، ص264–263.

11. سيشار له فيما بعد .

12. رأفت عبد الحميد . بيزنطة بين الدين والفكر والسياسة ، (ط القاهرة ، 1997م) ، ص103 – 144 محمد مؤنس عوض . في الصراع الإسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية 541 – 569هـ / 1146 – 1174م ، (ط1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، 1998م) ، ص189

13. سيشار له فيما بعد .

14. بلدوين الثالث Baldwin III توج ملكا في بيت المقدس عام 547هـ/1152م بعد وفاة الملك الصليبي فولك الأنجوي Fulk de Anjoi على الرغم من الخلافات الحادة التي حدثت بينه وبين والدته الملكة ميلسند Melissande وتقسيم المقاطعات الملكية بينهما ، وتوفي الملك بلدوين الثالث Baldwin III عام 557هـ/1162م . لمزيد من التفاصيل عنه ينظر : سعيد عبدالله البيشاوي . إقطاعية نابلس في الحروب الصليبية 492 – 690هـ/ 691 – 1099م (ط2 ، رام الله – فلسطين ، 2014م) ، ص78 . رنسيمان . تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص540

Stevenson,W.B. The Crusaders in the East, (Beirut, 1968).p. 184 Benvenisti , M., The Crusaders in the Holy Land , (Jerusalem , 1976) , p.164

15. ستيفن رنسيمان . تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، 572 – 573

16. محمد مؤنس عوض . في الصراع الإسلامي الصليبي ، ص194 – 196

17. ستيفن رنسيمان . تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص573

18. المؤلف نفسه. الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، (ط القاهرة ، 1961م) ، ص284

Baldwin, M.," The Latin States under Baldwin III and Amalric I" in Setton, History of the crusades, vol.I, (Permsylvania, 1958) , p.546

19. بعد الانتصار الكبير الذي حققه السلطان صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين 583هـ / 1187م واستعادة القدس ومعظم بلدان الأراضي المقدسة ، أعد الغرب الأوروبي حملة صليبية جديدة عرفت باسم الحملة الصليبية الثالثة ، ويقودها ثلاثة من الملوك ، وهم : فردريك بربروسا Frederick Barbarossa ملك ألمانيا وريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart ملك إنجلترا وفيليب أغسطس Philip Augustus ملك فرنسا ، في محاولة منها للاستيلاء ثانية على الأراضي المقدسة وبخاصة مدينة القدس . وفي نهاية الأمر ، تمكنت هذه الحملة من الاستيلاء على مدينة عكا 587هـ/ 1191م بعد حصار دام حوالي عامين ، وانتهت الحرب بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي ريتشارد Richard بتوقيع اتفاقية الرملة 588هـ / 1192م . لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة ينظر : ابن شداد ، بهاء الدين يوسف بن رافع . كتاب سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، (د.ط ، شركة طبع الكتب العربية ، القاهرة 1317هـ / 1899م) ، ص144 ، 160 ، 232 – 235 . ابن الأثير ، عزالدين أبي الحسن الشيباني . الكامل في التاريخ ، ج12 ، (د.ط ، دار صادر ، بيروت ، 1979م) ، ص64–63

Anonymus, The third Crusade (N.D), pp.55, 69 . Eracles. Estoire d, Eracles Empereur et de Conquest de La Terre d, outre mer Ed. R.H.C- H. Occ., tom.II, (Paris, 1859), pp. 155-156 . cf also : Grousset, R., Histoire des Croisades , tom 6 "1185-1210", (Paris , 1981) , p.146 . Geoffery de Vinsauf. Chronicales of The Crusade, Itinerary of Richard and other to The Holy Land, (London, 1840). Vol. 1, p.500 . Mayer, H.E., The Crusades, trans. By John Gillingham, (Oxford University, 1988) , p.149. Conder, C.R. The LLatin king-.dom of Jerusalem, "1099 – 1291", (A.D., London, 1897), pp.273 – 286

جلال حسني سلامة . عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، (ط1 ، دار الفاروق ، نابلس ، 1998م) ، ص104 – 125

20. يقصد هنا الإمبراطور أندرونيكوس Andronicus الذي سيرد الحديث عنه في الصفحات الآتية .

21. ورد هذا المصطلح بعد أن نجح السلطان صلاح الدين الأيوبي في إعادة الوحدة السياسية بين القاهرة عاصمة مصر ودمشق عاصمة بلاد الشام ، بعد قرنين من التصارع والتناصر المذهبي السني – الشيعي . لمزيد من التفاصيل عن هذه الجهود ، ينظر : ابن شداد . النوادر السلطانية ، ص22—23 . أبو شامة ، شهاب الدين بن القاسم عبدالرحمن المقدسي . كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ج3

، (ط ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2002) ، ص163 – 164 . محمد مؤنس عوض . صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة ، (ط1 ، عين للدراسات ، القاهرة ، 2008) ، ص104 .

22. السلاجقة : مجموعة من قبائل الأتراك الذين عرفوا باسم "الغز" ، بدأوا بالهجرة من أقصى تركستان خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية / السابع والثامن والتاسع الميلادية ، تحت ظروف صعبة وقاسية ، وهؤلاء ينتسبون إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق ، الذي جمع شملهم ووحدهم كما يبدو تحت زعامته . عن ذلك ينظر : عبدالنعيم حسنين . سلاجقة إيران والعراق ، (ط2 ، القاهرة ، 1970م) ، ص16 – 17 . بارنولد . تاريخ الترك في العصور الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، (ط . الأنجلو المصرية ، 1958م) ، ص94 – 95 . والمقصود بالسلاجقة هنا سلاجقة الروم ، وهم الفرع السلجوقي الذي أقام ملكه في آسيا الصغرى (تركيا اليوم) ، وجاور الروم أي الإمبراطورية البيزنطية ، ولذلك عرفوا باسم سلاجقة الروم تمييزا لهم عن فروع السلاجقة الآخرين ، وكان أول حكامهم سليمان بن قتلمش 469هـ / 1077م . عن ذلك ينظر : محمود سعيد عمران . المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس ، (ط. دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2004م) ، ص21 . سعيد عبدالفتاح عاشور . أوروبا العصورالوسطى، ج 1 ، (ط10 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1986م) ، ص430.

23. الأناضول : تشغل نحو ثلث مساحة تركيا ، ويطلق عليها أحيانا اسم الهضبة الحوضية ، لإحاطتها بالسلاسل والمرتفعات الجبلية ، كمرتفعات بنتص Pontus ومرتفعات طوروس Toros ، وهي تتألف من مجموعة من الهضاب الداخلية . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد خميس الزوكة . آسيا دراسة في الجغرافيا الإقليمية ، (ط دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1997م) ، ص468 – 470

24. في عام 1071م ألحق السلاجقة الأتراك (الروم) هزيمة منكرة بالبيزنطيين في معركة ملاذكرد Manzgert في آسيا الصغرى (تركيا) ، فاستولوا على أزمير ونيقية ودوريليوم ، ثم تبعها مدينة أنطاكية عام 1075م ، وأضحت البلاد تواجه خطر هجومهم على القسطنطينية نفسها ، وواصل السلاجقة اجتياحهم للأراضي البيزنطية حتى بات من العسير على هذه الإمبراطورية استرداد أملاكها ومقاطعاتها ، ثم أنها لم تعد بذلك حامية الغرب الأوروبي كما كانت من قبل ، ولهذا كان لا بد للإمبراطور ميخائيل السابع 1071 – 1078م أن يتوجه بطلب من بابا روما جريجوري السابع 1073 – 1085م العون والمساعدة لصد السلاجقة . وكرر هذه الدعوة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينوس Alexus Comnenus الذي لم ير بدا من الاتجاه صوب الغرب والبابوية في روما للاستنجاد بهم ضد السلاجقة الذين واصلوا تهديد عاصمته. فبعث بهذا الشأن إلى البابا

أربان الثاني Urban II وإلى كبار رجال الإقطاع يدعوهم لإرسال المساعدات لنجدة إخوانهم في الشرق وحماية القسطنطينية من الخطر السلجوقي . وكانت هذه الدعوة فرصة طيبة للبابا وشعوب أوروبا الغربية من أجل تحقيق أطماعهم في الأراضي المقدسة والإمبراطورية البيزنطية . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : جوزيف نسيم يوسف . العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، (ط2 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1983م) ، ص145 – 150

25. أندرونيكوس Andronicus : هو أحد أفراد البيت الكومنيني الطموحين ، اتصف بالذكاء والفطنة وفصاحة اللسان والعلم . تطلع إلى محاولة الاستئثار بالعرش في القسطنطينية ، إلا أنه لم يوفق ، حيث أمر الإمبراطور البيزنطي مانويل Manuel بنفيه . غير أن أندرونيكوس Andronicus ظل يتطلع للعودة إلى العاصمة القسطنطينية العاصمة ، وكان له ذلك بعد أن ساءت الأحوال السياسية فيها ، وتمكن من اعتلاء العرش عام 579هـ / 1183م ، بعد أن نظر إليه سكان القسطنطينية باعتباره الرجل القادر على تخليص الإمبراطورية من الاضطراب والفوضى . لمزيد من التفاصيل عنه ، ينظر :

Ostrogorsky,G.,A History of the Byzantine States, trans by Hussey, (Oxford , 1956) , p. 352 . Vasiliev , A History of the Byzantine empire, (Madison , 1952), p. 433

محمد محمد مرسي الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، (دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994م) ، ص377 – 380. عفاف سيد صبرة . تاريخ الدولة البيزنطية ، (ط1 ، دار المسيرة ، عمان ، 1433هـ / 2012م) ، ص488 – 489

26. إسحق أنجيلوس (1185 – 1195) Isaac Angelusم ، اعتلى عرش الإمبراطورية بعد الإطاحة بالإمبراطور أندرونيكوس Andronicus بفضل الثورة التي قامت بها الأقاليم والأسرات الإقطاعية ضده ، وفي أثناء فترة حكم إسحق Isaac سادت سلسلة من الكوارث والشدائد على بيزنطة أدت إلى زيادة ضعفها وانسلاخ بعض أملاكها عنها ، فأعلن أحد أفراد البيت الكومنيني استقلاله بجزيرة قبرص التي ظلت لفترة طويلة تابعة لحكم بيزنطة ، واستمرت الجزيرة على اتجاهها الانفصالي حتى عام 587هـ / 1191م . لمزيد من التفاصيل عن ذلك ، ينظر : جوزيف نسيم يوسف . تاريخ الدولة البيزنطية ، (دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1999م) ، ص246 .محمد محمد عبدالحميد فرحات . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، (ط1 ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، 2013 م) ، ص335 – 336 .

Ostrogorsky, G., History, pp. 403 , 408 - 409 . Hussey, T. M ., The Byzantine World , (London , 1967) p. 64

27. نور الدين زنكي : أبو القاسم محمود ابن الأتابك عماد الدين زنكي ، ولد يوم 17 شوال 511هـ / 11شباط 1118م ، جاهد ضد الصليبيين واسترد بلاد عدة كانت بأيديهم مثل عزاز وتل باشر ومرعش شمال حلب وغيرها ، يذكر هنا أن نور الدين محمود تمكن بدهاء وحنكة من تكوين مرحلة توازن القوى بين المسلمين والصليبيين استعدادا لمرحلة تالية في صورة الإجهاز على الكيان الصليبي ، وهو أمر تم بعد رحيله بحوالي 14 عاما ، من خلال معركة حطين 583هـ / 1187م ، وفضلا عن ذلك فقد سبق السلطان صلاح الدين الأيوبي في استعمال الدبلوماسية من أجل تحييد الإمبراطورية البيزنطية في قضايا الصراع بين الدولة النورية والكيان الصليبي ، وتوفي عام 569هـ / 1173م . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : شمس الدين الذهبي ، محمد بن أحمد . سير أعلام النبلاء ، ج15 ، تعليق محمد أيمن الشبراوي ، (دار الحديث ، القاهرة ، 1427هـ / 2006م) ، ص233 – 238 . محمود فايز السرطاوي . نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية . (ط1 ، دار البشير ، عمان ، 1990م) ، ص45 – 59 . محمد مؤنس عوض . صلاح الدين الأيوبي فارس عصر الحروب الصليبية "1138 – 1193م ، (دار الشيماء ، رام الله ، 1435هـ / 2014م) ، ص14

28. لم تمض فترة قصيرة على تولي أندرونيكوس Andronicus عرش القسطنطينية حتى أخذ يسعى إلى تصفية المناوئين له والتخلص من أعدائه كافة دفعة واحدة ، لكي يثبت أقدامه في الحكم ، فقام بسلسلة من الاغتيالات بحق كبار رجال الدولة وإعلانه الحرب على الطبقة الاقطاعية التي كان لها الفضل في اعتلائه عرش الإمبراطورية ، كما شن حملة دموية ضد كل من يشتبه بأنه يطمع في السلطة ، حتى تحولت العاصمة إلى بركة من الدماء ، فانتاب الناس الغضب والنفور من سياسته هذه التي انتهت بثورة شعبية عارمة انتهت بعزله والقبض عليه وتكبيله بالقيود والأغلال . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : جوزيف نسيم يوسف . تاريخ الدولة البيزنطية ، ص241 . عفاف سيد صبرة . تاريخ الدولة البيزنطية ، ص 490 – 491

Hussey , T.M. The Byzantine , p. 63 . Finaly , G., History of the Byzantine empire , vol. III , (London , 1906) , p. 212

29. إسحق كومنينوس Isaac Comnenus هو والد الإمبراطور أندرونيكوس كومنينوس Andronicus Comnenus ، كان ينتمي إلى أسرة أرستقراطية تملك ضياعا شاسعة في آسيا

الصغرى (تركيا)، وفي عهده اجتاح الأتراك السلاجقة أراضي الإمبراطورية في آسيا الصغرى، وخاض إسحق كومنين Isaac Comnenus حروبا ضدهم بهدف الحد من تلك الإغارات السلجوقية. لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث ينظر: محمد محمد مرسي الشيخ تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص305 – 309. محمد محمد عبدالحميد فرحات. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص313.

Ostrogorsky , G., A History . p. 299

30. موقعة مرياكيفالون Myriokephalon : دارت رحى هذه الموقعة يبن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (1143 – 1180) Manuel Comnenus والقائد السلجوقي قلج أرسلان يوم 11ربيع أول 572هـ /17 سبتمبر (أيلول) 1176م في منطقة فريجيا Phrygia في آسيا الصغرى (تركيا)، ويلاحظ أن كلمة مرياكيفالون Myriokephalon ذاتها تعني (1000) ألف رأس، ومما يجدر ذكره أن الآلاف من البيزنطيين لقوا مصرعهم في ذلك الموقع أكثر من مرة. وكان من نتائج هذه الموقعة القضاء على هيبة بيزنطة ومكانتها السياسية والعسكرية وانتصارا كبيرا للإمبراطورية الغربية ولفردريك بربروسا Frederick Barbarossa عن ذلك ينظر:

Kinnamus . Deeds of John and Manuel Comnenus , trans. By Charles M. Brand , (Colombia , 1976) pp. 146 - 147

طه خضر عبيد. تاريخ الدولة البيزنطية 324 – 1453م (ط1، دار الفكر، عمان، 1430هـ / 2010م)، ص205. محمد مؤنس عوض. الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، (330 – 1435)، (ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1437هـ / 2007م)، ص326 – 328. مارشال بلدوين. اضمحلال وسقوط بيت المقدس 1174 – 1189م، ترجمة وتعليق د. سعيد عبدالله البيشاوي، تاريخ الحروب الصليبية، إشراف كينيث سيتون Keneth Setton، (ط1، بيت المقدس للنشر، رام الله، 2004)، ص258.

31. إيجيان Aegean : تقع في الجزء الغربي من تركيا، يحدها من الغرب بحر إيجة ومن الشمال منطقة مرمرة ومن الجنوب والجنوب الغربي منطقة البحر الأبيض المتوسط ومنطقة وسط الأناضول في الشمال. عن ذلك ينظر:

https: // wikipedia. Org /wiki Aegean 2017 / 1 / 24

32. لمزيد من التفاصيل عن أعمال السلب والنهب التي تعرضت لها القسطنطينية في الحملة الصليبية الأولى، ينظر: جوزيف نسيم يوسف. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص214 – 215

Hagenmeyer (H) , Peter der Ermite , Leipzig 1879 “Chronologie de La Premiere Croisade” R . O . L . T . VII , Anee 1899

33. الإمبراطور مانويل كومنينوس Manuel Comnenus اعتلى عرش الإمبراطورية بعد وفاة والده يوحنا الثاني (John II) 1143م، وكان يبلغ من العمر حوالي (20) عشرين عاما ، تميز بالفروسية والثقافة الواسعة والهيبة ، ويعتبر الإمبراطور مانويل Manuel آخر الأباطرة العظام الذين تربعوا على عرش بيزنطة ، وواحد من أعظم حكام القرن الثاني عشر الميلادي الذين أوتيت لهم القدرة على التعامل من مركز القوة مع قوى العالم المختلفة ، من لاتين ونورمان وسلاجقة وصليبيين وغيرهم . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد محمد عبدالحميد فرحات. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص280 – 281 . محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، (دار المعرفة الجامعية ، 2000 م) ص275 . عفاف سيد صبرة . تاريخ الدولة لبيزنطية ، ص445 ، 481.

Vatran Le Grand , Abrege d, Histoire Universelle , (R . H . C . Doc Arm . , I , Paris , 1896 , p. 435 . Kinnamos , J, Deeds of John and Manuel Comnenus , p. 21

34. صقلية : هي إحدى الجزر التي تحيط بالساحل الإيطالي ، ويفصلها عن شبه جزيرة إيطاليا مضيق مسينا الضيق وتبلغ مساحتها حوالي 5969كم^2. عن ذلك ينظر : حسام جاد الرب ، (ط1 ، دار العلوم، مصر ، 1428هـ / 2007م) ص254

35. البندقية Venezia: مدينة في شمال إيطاليا ، وهي عاصمة إقليم فنيتو Veneto وعاصمة مقاطعة Venezia، وتعد مدينة البندقية أكبر مدينة في الإقليم من حيث المساحة وعدد السكان ، وهي عبارة عن عدة جزر متصلة ببعضها عن طريق جسور ، وتطل على البحر الأدرياتيكي . وفي العصور الوسطى ، كانت هذه المدينة تتمتع بحكم ذاتي ، كما تعد أهم مرافئ أوروبا تجاريا في أثناء سير الحملات الصليبية نحو المشرق الإسلامي . عن ذلك ينظر:

https://ar.wikipedia .org /wiki البندقية 2017/ 1 /26

36. جنوا Genoa: مدينة وميناء بحري شمال إيطاليا، وكانت هذه المدينة تعد إحدى الأقطاب الاقتصادية الإيطالية الرئيسة ، كما أنها إحدى الجمهوريات الإيطالية البحرية إلى جانب البندقية وبيزا ، وكان للجنويين دور بارز في تمويل الحملات الصليبية وتسييرها.

https://ar.wikipedia. org / wiki جنوا 2017 / 1 / 26

37. بيزا Pisa مدينة إيطالية تقع في إقليم توسكانا Tuskana على مقربة من البحر الأبيض المتوسط ، وكان لهذه المدينة تاريخ مميز في حوض هذا البحر وفي علاقاتها مع المشرق العربي والإسلامي في العصور الوسطى ، وبخاصة في الفترة التي شهدت انطلاق الحملات الصليبية .

26 / 1 / 2017 بيزا https://ar.wikipedia. Org/wiki

38. نهر الدانوب Danube : يعد أطول انهار الاتحاد الأوروبي ، ويلقب بنهر العواصم ، لكونه يمر في فيينا وبراتيسلافا وبودابست وبلغراد . كما أن هذا النهر يعبر أو يحاذي (10) عشر دول، ويتكون من التقاء نهرين هما بزيج وبريجش واللذان ينبعان من ألمانيا ويلتقيان على بعد أميال عدة من مدينة دوناوشينغن Donaueschingen الألمانية .

24 / 1 / 2017 الدانوب https://arz.wikipedia org/wiki

39. صوفيا Sofia عاصمة جمهورية بلغاريا وأكبر مدنها مساحة ، أنشئت هذه المدينة في القرن الثامن ق . م وعرفت باسم سيرديكا Serdeeka وهو الاسم القديم لصوفيا ، وتقع هذه المدينة غرب بلغاريا وتحتل موقعا استراتيجيا في وسط شبه جزيرة البلقان، إذ تقع على مفترق الطرق الذي يربط أوروبا الغربية بالشرق الأوسط . وأطلق على المدينة اسمها الحالي صوفيا في نهاية القرن الرابع عشر على اسم كنيستها الرئيسة "القديسة صوفيا" التي كانت تعتبر رمزا للمدينة.

24 / 1 / 2017 صوفيا https://ar.wikipedia. Org/wiki

40. وليم الثاني William II ملك صقلية (1155 – 1189م) ، عرف باسم "وليم الطيب"، حكم صقلية بعد وفاة والده وليم الأول William I وعمره لم يتجاوز آنذاك الحادية عشرة سنة من عمره، لذا وضع تحت وصاية والدته "مارغريت النفارية". سعيد عبد الفتاح عاشور . أوروبا العصور الوسطى التاريخ السياسي، (ط8 ، مكتبة النجلو المصرية ، 1985م)، ص364.

.Orton, E., Outline of Medieval History, (Cambridge, 1924), p.233 cf

also: https://ar.wikipedia.Org/wiki وليم 2017 / 1 / 29

41. بحر الأدرياتيك Adriatic هو احد فروع البحر الأبيض المتوسط الذي يفصل شبه الجزيرة الإيطالية عن شبه جزيرة البلقان ، ويحده من الغرب والشمال إيطاليا ومن الجهة الشرقية تطل عليه من الشمال إلى الجنوب سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك وصربيا وألبانيا ، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة أدريا أو هدريا Adria الواقعة في شماله في الأراضي الإيطالية.

1 / 2 / 2017 بحر الأدرياتيك https://ar.wikipedia .org/wiki

42. ثيسالونيكا Thessalonica مدينة يونانية تقع شمال البلاد على رأس خليج سالونيك ، ويعود سبب تسمية المدينة بهذا الاسم إلى كاسندر Kasender ملك مقدونيا الذي بنى المدينة ،أعطاها اسم زوجته ثيسالونيكي Thessalonic الأخت غير الشقيقة للإسكندر المقدوني ، وهذا الاسم يعني "النصر في تيساليا" أو "نصر القوم الذين أتوا من البلاد التي أصلها ماء".

1 / 2 / 2017 سالونيكا https://ar.wikipedia.org /wiki

43. عسقلان : تقع شمال غزة ، والمسافة بين هذه المدينة وساحل قطاع غزة نحو 10كم ، وعندما وصلت الحملات الصليبية الأولى إلى الأراضي المقدسة ، كانت عسقلان تخضع لسيطرة الفاطميين ، ومثلت هذه المدينة ميناء تجاريا هاما وقاعدة بحرية متقدمة لهم في فلسطين إلى أن استولى عليها الصليبيون عام 547هـ / 1153م . لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر : ابن القلانسي ، أبو يعلي حمزة . ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق آمدروز ، (بيروت ، 1908م) ، ص320 .

Stevenson , W. B., The Crusadesin the East , (Beirut , 1968) p. 171

مصطفى مراد الدباغ . بلادنا فلسطين ، ج1 ، ق2 ، (ط2 ، 1985م) ، ص176

44. أنطاكية : إحدى المدن الشامية الواقعة في لواء الإسكندرونة ، استولى عليها الصليبيون عام 491هـ /1098م . لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر : فوشيه الشارتري . تاريخ الحملة إلى القدس ، ترجمة زياد العسلي ، (ط1 ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، 1990م) ، ص53 66 . متى الرهاوي . تاريخ متى الرهاوي ، ترجمة وتعليق محمود محمد الرويضي وعبدالرحيم مصطفى ، (ط1 ، مؤسسة حمادة للدراسات ، إربد ، الأردن ، 2009 م) ، ص91 98 . ريموندا جيل . تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ترجمة د. حسين عطية ، (990 م) ، ص86 – 90 ، 145 – 146 .يعقوب الفيتري . تاريخ بيت المقدس ، ترجمة وتعليق د. سعيد البيشاوي ، (ط1 ، دار الشروق ، رام الله ، 1998م) ، ص38 ، هامش 3 . محمد محمد مرسي الشيخ . عصر الحروب الصليبية ، ص134 – 152

45. أرمينيا : الاسم الرسمي لها جمهورية أرمينيا ، وهي بلد جبلي غير ساحلي يقع في القوقاز من أوراسيا ، حيث تتموضع عند ملتقى غرب آسيا وشرق أوروبا ، يحدها من الغرب تركيا ومن الشمال جورجيا وجمهورية أذربيجان ، ومن الجنوب إيران .

14 / 2 / 2017 أرمينيا https:// ar. Wikipedia . org / wiki

46. النورمان أو النورمانديون : أي رجال الشمال ، وهم خليط من شعوب اسكندنافيا ، استقروا في الدينمارك والسويد والنرويج ، وعرفوا باسم الفيكنج Vikings بمعنى سكان الخلجان ، وهي الظاهرة الطبيعية التي تمتاز بكثرتها شواطئ الجهات الشمالية الغربية من أوروبا . لمزيد من التفاصيل عن هؤلاء ينظر : سعيد عبدالفتاح عاشور . أوروبا العصور الوسطى ، ص206

Mawer , A ., The Vikings , (Cambridge , 1930) p. 1

47. في هذه الفترة أصبحت حكومة الإمبراطورية البيزنطية عاجزة وضعيفة نتيجة لهذه الثورات المتتالية والمؤامرات المتواصلة ، وفي الولايات ظهرت قوة الطبقة الأرستقراطية ، مما أدى إلى زيادة الانحلال السياسي للإمبراطورية ودفع إسحق كومنين Isaac Comnenus إلى الاستقلال بقبرص ونادى بنفسه إمبراطورا في الجزيرة . عن ذلك ينظر : عمر كمال توفيق. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، (دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2006م) ، ص205 – 206

Vasiliev , A , A ., Histoire de I, Empire Byzantine , vol . 2 (Paris 1932), p.82

48. ريموند الثالث Reemond III كان قد اختير وصيا لبلدوين الرابع (Baldwin IIII 1185 – 1186)م، ملك بيت المقدس لمدة عشر سنوات ، وقد مر ريموند الثالث بقدر ومنزلة عند الصليبيين ، ووصف بالمكر والدهاء ، وكان هذا قد وقع أسيرا بيد نور الدين محمود زنكي لمدة تزيد عن عشر سنوات ، ثم تخلص بمال عظيم بذله في نفسه مدة السلطان صلاح الدين الأيوبي . عن ذلك ينظر : ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد . رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت William Wright (ليدن 1907م) ، ص309 . السيد عبدالعزيز سالم . طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، (مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1966م) ، ص251 .

49. مدينة عكا : تقع على الساحل الفلسطيني شمال حيفا ، وكان السلطان الأيوبي صلاح الدين قد استرد هذه المدينة بعد انتصاره في معركة حطين 583هـ / 1187م مباشرة ، لتأمين الاتصال السريع بين بلاد الشام ومصر والحيلولة دون قدوم مساعدات صليبية جديدة من الغرب الأوروبي . لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر : ابن شداد . النوادر السلطانية ، ص79 . العماد الأصفهاني ، أبو عبدالله محمد بن محمد . الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، (د . ط ، الدار القومية ، القاهرة ، 1965م) ، ص208 . جلال سلامة . عكا ، ص63 – 66 . مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج7 ، ق2 ، ص172 .

Grousset , R ., Histoire des Croisades , tom 6 , 1185 – 1210 , (Librairi Jules , Tallanddier , Paris , 1981) , pp. 58 - 60

50. الأرثوذكسية Orthodoxy كلمة يونانية الأصل ، مركبة من لفظتين يونانيتين "أرثوس" : وهي صفة لما هو قويم وسليم و "ذكسا" ، وهو اسم يدل على الرأي والمعتقد والفكر ، فيكون معنى الكلمة اليونانية "أرثوذكسا" المعتقد القويم ، أو الرأي القويم . وكلمة "أرثوذكسية" اصطلاحا تطلق على جماعة كبيرة من المسيحيين الذين يقولون أنهم حافظوا على المعتقد كما حددته المجامع المسكونية ، (المجمع المسكوني مؤتمر يدعى إليه أساقفة العالم كله للتداول في شؤون الكنيسة) ، تمييزا لهم عن الذين غدوا هراطقة . وتؤكد الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية محافظتها على إيمان الكنيسة الأولى ، كما حددته وفسرته المجامع المسكونية وكتابات آباء الكنيسة وبقاءها امنية الماضي باستمرارية تقوم على مبدأ تسلم الإيمان ونقله . والمرجع الرئيس في إيمانها هو الكتاب المقدس . لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر : سعد رستم . الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية ، (ط1 ، الأوائل ، دمشق ، سورية ، 1425 هـ / 2004م) ، ص47 – 50

51. الملكانيون Milkites : تسمية تطلق على المسيحيين الروم الأرثوذكس والكاثوليك الذين يتبعون الطقس البيزنطي . وتعود التسمية إلى السريانية ، بمعنى أتباع الملك ، كونهم تبعوا الأباطرة البيزنطيين بعد الخلافات الكنسية في القرن الخامس الميلادي ، وينتشر أتباع هذا التقليد المسيحي في سورية ولبنان وفلسطين والأردن ، ويرى الملكانيون أنفسهم على أنهم المسيحيون الأوائل ، ويرجعون كنيستهم إلى زمن تلاميذ المسيح . عن ذلك ، ينظر : أحمد شلبي . مقارنة الأديان 2 المسيحية ، (ط10 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1993 م) ، ص164 .

14 / 2 / 2017 ملكانيون http:ar. Wikipedia.org / wiki

52. في هذا الشأن يرى المؤرخ اليهودي يوشع برافر J . Prawer أن المسيحيين الشرقيين آثروا العيش والإقامة في المدينة المقدسة مع المسلمين على العيش مع المستوطنين الجدد القادمين من الغرب الأوروبي .

J. Prawer . The Settlement of the Latins in Jerusalem , (Specullum , 27 , 1952), pp. 490 - 503

53. عن الانتصارات الكبيرة التي أحرزها السلطان صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين وتحرير بيت

المقدس 583هـ / 1187م ، ينظر : ابن شداد . النوادر السلطانية ، ص60 – 63 . ابن الأثير ، عزالدين أبي الحسن علي الشيباني . الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات ، (د.ط ، دار المكتبة الحديثة ، القاهرة ، 1936م) .

Ernoul . Le Chronique d,Ernoul et de Bernard Le Tresorier . ed . Mas Latrie , (Paris , 1871) , p. 130 . Eracles . Eetoire d, Eracles Empereur et de Conquest de La Terre d, outre mer . Ed. R . H . C . Occ . , tom II , (paris , 1859) , pp. 27 - 28

54. البلسم : عصارة راتنجية بلسمية تستعمل في الطب ، وهي تستخرج من أشجار تنمو في البلاد الحارة . عن ذلك ينظر : إبراهيم مصطفى وآخرون . المعجم الوسيط ، ج1 ، مجمع اللغة العربية ، (ط3 ، دار عمران ، القاهرة ، 1989) ، ص71 .

55. يذكر أن النورمان بقيادة وليم الثاني William II كانوا قد أعدوا حملة لمهاجمة الأراضي البيزنطية عام 1184 / 1185م ، وعندما علم الإمبراطور البيزنطي آنذاك وهو أندرونيكوس Andronicus بخبر هذه الحملة بعث إليهم على وجه السرعة بقوات نجحت في تحقيق النصر على القوات النورمانية . لمزيد من التفاصيل عن ذلك ، ينظر : عفاف سيد صبرة . تاريخ الدولة البيزنطية ، ص490 .

Finlay , G, History of the Bayzantine empire , (London , 1906) , pp. 222 – 223 . Wiensowski , H , The Norman Kingdom of Sicily and Crusade in Setton , vol . II , (Wisconsen , 1969) , p. 37

56. الملك العادل 540 – 615هـ / 1145 – 1218م ، محمد بن أيوب بن شادي أبو بكر سيف الإسلام الملقب بالعادل ، أخو السلطان صلاح الدين ، وهو من كبار سلاطين الدولة الأيوبية ، وكان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين في أثناء غيبته بالشام ، وتنقل في الولايات إلى أن استقل بملك الديار المصرية عام 596هـ / 1200م ، ثم الديار الشامية ، ولما صفا له جو الملك قسم البلاد بين أبنائه . عن ذلك ينظر : خيرالدين الزركلي . الأعلام قاموس تراجم ، ج6 ، (ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1980م) ، ص47 .

57. حصار صور : شكلت سياسة السلطان صلاح الدين الأيوبي سماحه للصليبيين بالتمركز في صور اللبنانية خطرا جسيما على الإنجازات الكبيرة التي حققها المسلمون بعد معركة حطين ، فحصانة موقعها واختلاف آراء الجنود المسلمين واضطرابها قد اضطر السلطان الأيوبي إلى الانسحاب من

أمام أسوارها في أواخر شوال 584هـ / يناير (كانون ثاني) 1188م . لمزيد من التفاصيل عن حصار صور وأسباب فشله ، ينظر : ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج11 ، ص553 . سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي . مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج8 ، ق1 ، (د . ط ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، 1370هـ / 1951م (. 1957م . ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم . مفرّج الكروب ، ج 2 ، تحقيق جمال الدين الشيال ، (ط1 ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1957م .

Anonymus . The third Crusade , (N . D) , pp. 23 - 24 . Michaud , J . F., The History of the Crusade , vol. 1 , (New York , 1881) , p.451

جلال سلامة . عكا ، ص 72 – 73 . محسن محمد حسين . مسؤولية صلاح الدين في فشل حصار صور ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، عدد26 ، مج 7 ، (1987) ، ص35 .

58. يقصد بالفلاشا Vlachs : الرومان سكان بلاد البلقان . والبلقان منطقة جغرافية تقع في الجزء الجنوبي من قارة أوروبا في شرق شبه الجزيرة الإيطالية في الشمال الغربي من منطقة الأناضول . ينظر :

History of the Aromanians – Wikipedia . the free encyclopedia 2017/3/ 22

59. الخيول اللاتينية : من هذه الخيول التي نالت شهرتها تلك الخيول الفرنسية التي عرفت باسم "بيرشورون" Perchoron نسبة إلى مقاطعة بيرش Perch الفرنسية ، وعرفت بخيول الجر أو الخيول الثقيلة ، حيث كانت تحول الفارس حين يصل وزنه مع أسلحته ساعة المعركة 125 – 150 كغم ووزن الحصان "المدرع" نحو 600 كغم إلى قلعة حديدية ، أضف إلى ذلك ، فقد امتاز هذا الحصان بالنشاط والذكاء وسهولة القيادة ، كما أن تربيته لا تتطلب أموالا كثيرة . عن ذلك ينظر : سليمان قطاية . الخيل أثناء الحروب الصليبية، مجلة المورد ، مج 20 ، عدد 1 ، (دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، 1992م) ، ص21 25 . جلال سلامة . عكا ، هامش 4، ص109 .

60. الألوة "الصبر" : نبات يستخرج من بعض أنواعه عصارة تدعى "ألوة" aloes ، وتستعمل في الطب كمسهّل . ينظر : منير البعلبكي . المورد قاموس إنجليزي عربي ، (ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت) ، ص40 .

61. المسك : مادة نفاذة العبير تستخرج من جراب تحت الجلد البطني لأيل المسك . أو النبتة المسكية : كل نبتة مسكية الرائحة ، وبخاصة نبات المسك . المرجع نفسه ، ص600 .

62. البيزنط Beasant : عملة ذهبية بيزنطية ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة "القسطنطينية" ، وكان هذا النوع من العملات متداولة بكثرة حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي على وجه التقريب ، وامتازت بقيمتها الذهبية التي تعادل حوالي ثلاث ونصف غرام من الذهب . عن ذلك ينظر : محمود سعيد عمران . السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل ، (الإسكندرية ، 1985م) ، هامش 1، ص64

63. قنطار : هو اسم لمعيار توزن به الكميات ، تماما كما الرطل والكيلو والأوقية والطن وغيرها . وقد ربط اسم القنطار بالمال كمؤثر على كثرته ووفرته وتوافره ، وقيل معيار وزن (40) أربعين أوقية من ذهب ، ويقال (1100) ألف ومائة دينار ، وقيل (120) مائة وعشرين رطلا ، وقيل القنطار (100) مائة رطل 250 كغم مائتان وخمسين . عن ذلك ينظر : شرين ثابت حسني عبدالجواد . ألفاظ المقادير في العربية "دراسة في البنية والدلالة " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، (2012م) ، ص16 .

https://mawdoo3.com3.com3 . com 2017 / 3 / 19

64. كونراد من مونتيفرات Conrad of Montferrat : هو ابن الملك الإيطالي وليم من منتيفرات William of Montferrat الذي وقع اسيرا في معركة حطين 583هـ / 1187م ، ويذكر أن كونراد Conrad كان يعمل في بلاط الإمبراطور البيزنطي أنجيلوس Angelus ، وكان هذا الماركيز قد وصل ميناء صور على متن سفينة بعد عشرة أيام من هزيمة الصليبيين في تلك المعركة . لمزيد من التفاصيل ، ينظر :

Anonymus . The third Crusade , pp. 23 – 24

جلال سلامة . عكا ، ص72 .

65. يرى باحث محدث ان الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus كان يأمل في تحالفه مع السلطان صلاح الدين الأيوبي إمكانية استرداد قبرص استعادة أملاك بيزنطة في آسيا الصغرى (تركيا) وفي الأراضي المقدسة في فلسطين ، ولكن هذه الآمال كان مبالغ بها ولم يتحقق فيها الكثير ، إذ لم تستفد بيزنطة كثيرا من هذا التحالف ، بل إن ذلك أساء نوعا ما إلى سمعة الدولة البيزنطية ، فاستغل الصليبيون ذلك وأثاروا الشعور العدائي ضد بيزنطة . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : محمد محمد مرسي الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص384 – 385

Hussey , T . M ., The Byzantine , pp. 65 - 66

66. لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : أبو شامة ، عبدالرحمن إسماعيل المقدسي . كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ج2 ، تحقيق محمد حلمي أحمد ، (القاهرة ، 1962م) ، ص178 . ابن شداد . النوادر السلطانية ، ص340 . عفاف سيد صبرة . تاريخ الدولة البيزنطية ، ص498

Hill , G . H , History of Cyprus , vol . 2 , (Camb , 1948) , p. 320

67. من المفيد أن نذكر هنا أن السلطان صلاح الدين الأيوبي كما ورد في صفحات سابقة قد وعد الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus بالسيادة على جميع كنائسها في الأرض المقدسة وليس على كامل أراضيها .

68. يقصد هنا الرسالة التي دونها كونراد Conrad فيما يتعلق بالاستيلاء على المنبر الذي كان قد أمر السلطان صلاح الدين بنصبه في جامع القسطنطينية ، كما ذكر آنفا .

69. لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث ، ينظر :

Ostrogorsky , G ., History of The Byzantine , p. 342 . Vasiliev , A ., History of the Byzantine , p. 433

عفاف سيد صبرة . تاريخ الدولة البيزنطية ، ص481 ، 488 – 489

70. مونستر Munster : مدينة ألمانية تقع في ولاية شمال الراين Rine وتسفاليا Witsvalia في غرب ألمانيا

14 / 2 / 2017 مونستر https://ar.wikipedia . org / wiki

71. مرجعيون : هي إحدى القرى اللبنانية من قرى قضاء مرجعيون في محافظة النبطية ، وتعد إحدى المواقع التاريخية الهامة ، وتشرف على سهل زراعي خصب سمي باسمها .

3 / 7 / 2017 مرجعيون https://ar.wikipedia.org /wiki

72. برانتشيفو Branitchevo يقصد بها هنا جمهورية رومانيا الحديثة ، وهي جمهورية تقع في شرق أوروبا وعاصمتها بوخارست ، وتعد رومانيا من دول البلقان ، ويحدها من الشمال أوكرانيا ومولدافيا ومن الجنوب بلغاريا ومن الشرق البحر الأسود ومن الغرب صربيا والمجر ، وتبلغ مساحتها الكلية نحو 237،500 كم^2 ، وتتحكم رومانيا في طرق المواصلات المؤدية بين دول البلقان ومولدافيا بحكم موقعها المتوسط بين هذه الدول . عن ذلك ينظر : حسام الدين جاد الرب . جغرافية أوروبا الجديدة دراسة إقليمية ، (ط1 ، دار العلوم للنشر ، مصر ، 1428هـ / 2007م) ،

ص288 – 289 .

73. ييش Nish هي ثالث أكبر مدينة في صربيا وأكبر مدن جنوبها ، وهي تقع على نهر نيشافا Nisha-va ، وتعد هذه المدينة من أقدم مدن البلقان وأوروبا ، إلى جانب كونها بوابة بين الشرق والغرب منذ العصور الوسطى القديمة .

24 / 1 / 2017 نيش https://ar.wikipedia. Org / wiki

74. فيليب بوليس Philippollis : وهو اسم روماني ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها فيليب Philip والد الإسكندر الأكبر (المقدوني) ، وتقع إلى الجنوب الشرقي من صوفيا Sofia . عن ذلك ينظر : محمد فريد بك المحامي . تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، (ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1401هـ / 1981م) ، هامش (1) ، ص130 .

75. تراقيا (ثراس) Thrace : منطقة تاريخية وجغرافية تقع في جنوب شرق البلقان ، وتضم شمال شرق اليونان وجنوب بلغاريا وتركيا الأوروبية ، وتطل تراقيا على ثلاث بحار ، هي : البحر الأسود وبحر إيجة وبحر مرمرة .

1 / 3 / 2017 تراقيا https://wikipedia . org / wiki

76. إينوس Enos : مدينة ومنطقة تتبع تركيا ، ويعود أصل تسميتها إلى اللفظ اليوناني Ainos ، وهي تقع على الطريق التجاري الذي يمتد من البحر الأسود إلى إيجيان Aegean الواقعة في الجزء الغربي من تركيا . وقد تعرضت مدينة إينوس Enos لأعمال سلب ونهب من قبل أفراد الحملة الصليبية الثالثة بقيادة الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا Frederick Barbarossa ، لمزيد من التفاصيل ينظر :

https://en.wikipedia. Org / wiki / Enos 2017 / 3 / 6

77. أدريانوبل Adrianople (أدرنة) : إحدى مدن تركيا في إقليم تراقيا ، وتقع في أقصى الجهة الشمالية الغربية من الجزء الأوروبي للجمهورية التركية بالقرب من حدود بلغاريا واليونان ، حيث تبعد عن حدود اليونان حوالي 7 كم وتبعد عن بلغاريا حوالي 20 كم ، وعرفت قبل العثمانيين باسم أدريانوبل Adrianople ، التي أسسها الإمبراطور الروماني هادريان Hadrian في القرن الثاني الميلادي . عن ذلك ينظر :

22 / 7 / 2017 أدرنة https://ar.wikipedia . org / wiki

78. لمزيد من التفاصيل عن استعدادات الصليبيين لحصار مدينة عكا واقتحام أسوارها ينظر : ابن شداد . النوادر السلطانية ، ص144 – 156 . ابن الأثير . الكامل ، ج11 ، ص64 – 66 . ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج2 تحقيق جمال الدين الشيال ، (ط1 ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1957م) ، ص356

Anonymus . The third Crusade , pp. 55 – 69 . Ernoul . Le Chronique d, Ernoul , p. 265 . cf . also : Michaud . The History of the Crusade , vol. 1 , pp. . 479 – 480

جلال سلامة . عكا ، ص104 – 117

79. الدينار البيزنطي : الدينار ،اسم لوحدة نقدية ذهبية رومانية مشتق من اللفظ اليوناني اللاتيني Denarius ومن الرومي Deni أي "عشرة" ، والدينار البيزنطي الذهبي مستدير الشكل "السوليدوس الذهبي" الذي حمل على وجهه الأول نقش يتضمن صورة الإمبراطور البيزنطي "هرقل" أو صورته مع ولديه "هرقليانوس" و "قسطنطين" وإلى جانب كل منهما رسم الصليب إلى جانب الصليب الذي يتوج الرأس ، في حين حمل الوجه الثاني للسوليدوس الذهبي نقش الصليب القائم على أربع درجات مع بعض الكتابات اللاتينية ذات الطابع الدعائي الديني إلى جانبها مكان وتاريخ الضرب . عن ذلك ينظر:

Site. iugaze. edu. Ps / slesel / files / 2015 / docx المسكوكات البيزنطية 2017 / 4 / 22

80. افغاكوس يمكن مقارنته بالإمام أو القاضي عند المسلمين . عن ذلك ينظر :

https://archive.org / … The life of SaladinYbehead_ dinabual –mehasan djvu.txt _2017/4/22

81. ابن ،شداد . النوادر السلطانية ، ص132 – 133 .

82. يقصد هنا الخليفة العباسي الملقب باسم الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضئ بن المستنجد ، بويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة 575 هـ / 1180 م ، ولم يزل خليفة إلى أن توفي سنة 622 هـ / 1225 م ، وهو أطول خلفاء بني العباس مدة . عن ذلك ، ينظر : ابن شداد . النوادر السلطانية ، ص138 – 139 . ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج 10 ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1987 م) ، ص97 – 98 . الشيخ محمد الخضري بك . محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية ، (د. ط ، المكتبة التجارية ، مصر ، د. ت) ، ص466 . جلال

سلامة . عكا ، ص99 .

83. أبو شامة . الروضتين ، مج 4 ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1422 هـ / 2002 م) ، ص88 .

84. عماد الدين بن شداد 539 – 632 هـ / 1145 – 1234 م ، من كبار القضاة ، ولد في الموصل وتفقه فيها ، وفي عهد لسلطان صلاح الدين الأيوبي تولى قضاء العسكر وبيت المقدس والنظر على أوقافه ، واستصحبه معه في بعض غزواته ، قدوّن وقائعه وكثيرا من اخباره ، ومن كتبه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) ، لمزيد من التفاصيل ينظر : خير الدين الزركلي . الأعلام قاموس تراجم ، ج 8 ، (ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1980) ، ص230 .

85. قونية Iconum : تقع جنوب غرب تركيا ، يحدها من الشمال أنقرة ومن الجنوب قرمان ومن الغرب آف سراي ومن الشرق إسبرطة . وتعد هذه المدينة من أقدم المدن التاريخية ، ومن أوائل المدن المأهولة في تاريخ البشرية ، بلغت ذروة مجدها عندما كانت عاصمة الدولة السلجوقية الأناضولية . عن ذلك ينظر : محمد شفيق غربال وعبدالرحمن بيطار . الموسوعة العربية الميسرة ، (1985) .

29 / 7 / 2016 قونية https://www.batuta.com

86. عرفت هذه الفرقة باسم "اليزك" ، وهذه الكلمة برزت في مفردات العسكرية الأيوبية لأول مرة عام 570 هـ / 1174 م ، وهي مصطلح فارسي يعني مقدمة العسكر أو البصاص ، ووردت بمعنى الجاسوس . وقد اضطلعت هذه الفرقة بأعمال (المخابرات) الحربية . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : صلاح الدين البحيري . المخابرات الأيوبية في مواجهة الصليبيين ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد 41 ، 42 ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، (بغداد ، 1410 هـ / 1990 م) ، ص117 – 119 . جلال سلامة . عكا ، هامش (2) ، ص76 .

87. مدينة العاني Ani : مدينة تركية ، تقع بالقرب من الحدود مع أرمينيا Armenia ، وفي العصور الوسطى كانت عاصمة للمملكة الأرمينية ، وقعت هذه المدينة على الطرق التجارية ، وشيدت فيها المباني الدينية الكثيرة والقصور والتحصينات ، وبلغ عدد سكانها آنذاك ما بين 100 – 200 ألف نسمة ، ولكن عانت هذه المدينة في الآونة الأخيرة من عمليات الدمار المستمر والمتزايد بفعل الإهمال والزلازل والتطهير الثقافي والتخريب ، وهي الآن مدينة أشباح منذ ما يزيد عن ثلاثة قرون . عن ذلك ينظر :

1 / 11 / 2016 العاني First – ten. Plogspot .com

88. أرمينيا Armenia : الاسم الرسمي لها جمهورية أرمينيا Armenia ، وهي بلد جبلي غير ساحلي ، يقع في القوقاز من أوراسيا ، حيث تتموضع عند ملتقى غرب آسيا وشرق أوروبا ، يحدها من الشمال جورجيا ومن الجنوب إيران ومن الغرب تركيا ومن الشرق جمهورية أذربيجان . عن ذلك ينظر :

1 / 11 / 2016 أرمينيا ar.wikipedia.org / wiki

89. بارثيا (الإمبراطورية البارثية) "الأرشكيون" Arsacid : هم السلالة المؤسسة للإمبراطورية البارثية أو بارثيا ، وهو اسم منطقة تاريخية شمال شرق إيران ، عرفت بكونها المركز السياسي والثقافي للسلالة الأرشكية التي حكمت الإمبراطورية البارثية وامتد سلطانها حوالي 475 سنة (249 ق . م – 226 م) وعرف أول ملوكها باسم الأرشك Arsacid ، وأقام حكام هذه السلالة حكما أرستقراطيا بزعامة أرشاك Arsakes زعيم إحدى قبائلهم الذي أسس سلالة ملكية عرفت باسم " الأرشاكيون " ، وذكر ملوكها في المصادر العربية باسم " ملوك الطوائف " .

2 / 11 / 2016 بارثيون www.marefa.org / index.php

2 / 11 / 2016 الإمبراطورية البارثية ar.wikipedia. org / wiki

90. السلالة الروبينية Roupenids :هي فرع من سلالة أكبر عرفت باسم Bagratid التي تولت سدة الحكم في أرمينيا وجورجيا في فترات تاريخية متباينة ، علما بأن الحكام الذين ينتسبون للسلالة الروبينية Roupendis تولوا في بداية الأمر مناصب أمراء الأقاليم ثم عملوا على تأسيس مملكة أرمينيا الصغرى وإقامة علاقة وثيقة مع الغرب الأوروبي بعد الحملة الصليبية الأولى . عن ذلك ينظر:

2016/11/2 السلالة الروبينية www.pinterest.com

91. نهر الساف Sava ويعرف أيضا باسم نهر كاليكادوس KaliKadus كما عرف سابقا باسم نهر سيدنوس Seednus ويخترق هذا النهر كلا من سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك وصربيا ، ويعد أحد روافد نهر الدانوب . عن ذلك ينظر : إفرام عيسى يوسف . الحملات الصليبية كما يرويها المؤرخون السريان ، (ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 2010 م) ، ص223 .

92. التركمان Turkomans: عشائر من الرعاة الرحّل الوافدين من أواسط آسيا ، وكانوا ينصبون خيامهم أحيانا على هضاب الأناضول السلجوقية وأراضي حلب ، وقد وصف هؤلاء التركمان بالوحشية والاهتمام الكبير بتربية الماشية . عن ذلك ، ينظر :

Eracles . Estoire d, Eracles , tom II , p. 435

بورشارد . وصف الأرض المقدسة ، ترجمة د. سعيد عبدالله البيشاوي ، (ط1 ، عمان ، دار الشروق ، 1995 م) ، ص54 .

93. القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني العسقلاني ، ولد في مدينة عسقلان سنة 529 هـ / 1135 م في مدينة عسقلان ، درس القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، عدا عن الأدب والشعر وغيرها من العلوم ، أرسله والده إلى الديار المصرية في عهد الخلافة الفاطمية ليتعلم فن الكتابة والإنشاء ، حتى أصبح مصدر معرفة لعدد كبير من الأدباء والمفكرين في عصره ، وعرف عنه التواضع والقوة والإخلاص . عمل مستشارا ورئيسا لديوان الإنشاء في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن إبراهيم بن أبي بكر . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج 3 ، تحقيق إحسان عباس ، (دار الثقافة ، بيروت ، 1388 هـ / 1968 م) ، ص128 ، 158 ، ج 4 ، ص166 . الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك . الوافي بالوفيات ، ج 6 ، تحقيق احمد الأرناؤوط ، (دار إحياء التراث ، بيروت ، 1421 هـ / 1968 م) ، ص126 . معالي عبدالسلام الحلبي . رسائل القاضي الفاضل السياسية في عهد صلاح الدين الأيوبي ، (564 – 589 هـ / 1169 – 1193 م) ، تحقيق ودراسة ، رسالة ماجستير غير منشورة الجامعة الإسلامية غزة ، (2013 م) ، ص6 25 .

94. هنري السادس Henry VI : هو أكبر أبناء الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا Frederick Barbarossa الذي عهد إليه بالوصاية على عرش ألمانيا بعد قراره بالاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة . عن ذلك ينظر : محمد مؤنس عوض . صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة ، (ط1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، 2008 م) ، ص190 . عادل عبدالحافظ . "موقف ألمانيا من هزيمة الصليبيين في حطين" ، التاريخ والمستقبل ، م1 ، عدد1 ، (1991 م) ، ص215 – 233 .

95. يجدر بنا أن نشير هنا إلى خسارة البيزنطيين لجزيرة قبرص بعد أن تمكن الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart من مهاجمة الجزيرة والاستيلاء عليها عام 586 هـ / 1190 م ، فأصبحت بذلك جزءا من أملاكه ، ولذلك حاول الإمبراطور البيزنطي إسحق أنجيلوس Isaac Angelus من خلال سفيره استمالة السلطان صلاح الدين الأيوبي لمساعدته في استرداد الجزيرة من الملك الإنجليزي . لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر : أبو شامة . كتاب الروضتين ، ج 2 ، ص178 . سعيد عبدالفتاح عاشور . قبرص والحروب الصليبية ، (القاهرة ، 1957 م) ، ص26

Hill , G . H , History of Cyprus , vol . II , (Camb . , 1948) , pp. 315 – 320

96. ابن شداد ، بهاء الدين . النوادر السلطانية ، ص209 . لم يعثر الباحث على تعريف بشخصية ابن البزاز سوى أن اسمه هو أحمد بن زكير .ينظر : العسقلاني ، أحمد بن على بن حجر . لسان الميزان ، ج 1 ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، (مكتبة المطبوعات الإسلامية ، 1423 هـ / 2002 م) ، ص756 .

97. هيبربرون hyperpers : هو الاسم القديم للبيزنت Besant ، وهو عملة ذهبية بيزنطية ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة "القسطنطينية" ، وكانت هذه العملة متداولة بكثرة في العصور الوسطى حتى منتصف القرن القرن الثالث عشر الميلادي تقريبا ، وامتازت باستقرار قيمتها الذهبية التي تعادل حوالي ثلاث ونصف غرام من الذهب . عن ذلك ينظر : محمود سعيد عمران . السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل ، (الإسكندرية ، 1985 م) ، هامش 7 ص271 . سعيد عبدالله البيشاوي . اقطاعية نابلس في عصر الحروب الصليبية 422 – 690 هـ / 422 – 690 هـ / 691 – 1099 م (ط 2 ، جسور ثقافية ، رام الله – فسطين ، 1435 هـ / 2014 م) ، هامش 88 ، ص90 .

98. بونيفاسيو Bonifacio : مدينة تقع في الجزء الجنوبي من جزيرة كورسيكا Corsica الفرنسية ، وتطل هذه المدينة على البحر الأبيض المتوسط ، ويفصلها عن جزيرة سردينيا الإيطالية مضيق بونيفاسيو Bonifacio عن ذلك ينظر :

Alrai.com / article / 684093html 2017 / 8 / 2

99. كورسيكا Corsica : جزيرة فرنسية في البحر الأبيض المتوسط ، تقع غربي إيطاليا وشمال جزيرة سردينيا الإيطالية وجنوب شرق فرنسا . عن ذلك ينظر :

https;//ar.wikipedia.org /wiki كورسيكا 2017 / 8 / 2

100. إسكندنافيا Scandinavia : هي شبه جزيرة تقع شمال قارة أوروبا ، وتتكون من الدينمارك والنرويج والسويد ، وأحيانا تشمل دول أخرى ، كفنلندا وآيسلندا ، وذلك للتقارب التاريخي والحضاري والعلاقات الثقافية التي تربط هذه الدول مع الدول الإسكندنافية الأساسية . لمزيد من التفاصيل ، ينظر :

https://ar.wikipedia.org / wiki إسكندنافيا 2017 / 8 / 5

101. يقصد هنا البابا كليمنت الثالث (1130–1191) Clemens III، ولد باسم ياوليتو Yawleetu أو (ياولو Yawlu) سكولاري Scolari وهو بابا الكنيسة الكاثوليكية في الفترة من 19 كانون ثاني (ديسمبر) 1187 م إلى وفاته . وكان هذا البابا قد مارس ضغوطا على كل من

هنري الثاني Henry II ملك إنجلترا وفيليب الثاني Philip II ملك فرنسا للقيام بالحملة الصليبية الثالثة ، وعقد معاهدة سلام مع الإمبراطور فردريك بربروسا Frederick Barbarossa في إبريل (نيسان) 1189 م . لمزيد من التفاصيل ينظر :

Cheetman , Nicolas . Keepers of the keys . (Charles Scribner,s Sons , 1982) , p. 325 . Reston , James . Warriors of .God : Richard the Lionheart and Saladin in the Third Crusade , (Random House Inc. . , 2001) , p. 106

.102 الحملة الصليبية الرابعة : كان من المفترض أن تتوجه هذه الحملة نحو الديار المصرية التي أثبتت أنها مركز المقاومة الحقيقي ضد الصليبيين في الشام ، والمستودع التعبوي الذي استمد منه الأيوبيون مواردهم البشرية وقوتهم المالية في مواجهة الغزو الصليبي ، ولكن ما حدث هو تحول وجهة هذه الحملة نحو القسطنطينية حيث وصلتها في شوال 599 هـ / يونيو (حزيران) 1203 م ، وفرضت حصارها البحري عليها ، حيث تمكن الصليبيون عام 600 هـ / 1204 م وبمساعدة البنادقة من اقتحامها وسلب كميات وفيرة من ثرواتها ، عدا عن ارتكاب عمليات القتل بحق سكانها ، لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة ينظر : أبو شامة . ذيل الروضتين ، (نشر عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، 1947 م) ، .

Cambridge Medieval History , vol. 5 , (Cambridge , 1924) , pp. 411 , 458 . Vasiliev (A. A.) , History of the Byzantine Empire , vol . 2 (W . P . 1973) , p. 461

محمد محمد مرسي الشيخ . عصر الحروب الصليبية ، ص424 – 441

.103 بوهمند Bohemond : هو ابن النورماندي روبرت جويسكارد Robret Juiskard الذي استعاد جزءا كبيرا من جنوب إيطاليا من البيزنطيين ، وكان بوهمند Bohemond كأبيه في الطموح والدهاء والمكر ، شارك في الحملة الصليبية الأولى وتولى إمارة أنطاكية بعد الاستيلاء عليها 1098 / 1099 م . لمزيد من التفاصيل ينظر : فوشيه الشارتري . تاريخ الحملة إلى القدس ، ص57 66 . وليم الصوري . الحروب الصليبية ، ج1 ، ص416 420 . ستيفن رنسيمان . تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص372 375 .

.104 الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus : دام حكمه للإمبراطورية البيزنطية حوالي 37 عاما ، تميز بالدبلوماسية وقدرته على ضبط النفس ، غير أنه جمع بين الرقة

الأصيلة والاستعداد الماكر في استخدام الحيلة والإرهاب إذا تطلبت ذلك مصالح البلاد ، وحفل بلاطه بأفراد ينتمون إلى البيوت الإمبراطورية السابقة ، والذين حرص ألكسيس Alexius على أن يرتبط بهم بالتحالف على أساس المصاهرة . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : ستيفن رنسيمان . تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص119 122 .

105. الحملة الصليبية الثانية : يعزى سبب قدوم هذه الحملة من أوروبا إلى بلاد الشام إلى استعادة إمارة الرها (إلى الشمال الشرقي من تركيا على الطريق الرئيس بين الموصل وحلب) التي حررها المسلمون من الصليبيين سنة 539 هـ / 1144 م على يد عماد الدين زنكي. وهي أول حملة يقودها ملوك أوروبا وهم : لويس السابع Luis VII ملك فرنسا وكونراد الثالث Conrad III ملك ألمانيا اللذان استطاعا مع عدد قليل من جيوشهما من الوصول إلى القدس عام 1148 م ، وحاولا السيطرة على دمشق ولكنهما فشلا في تحقيق ذلك . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص353 – 354 وليم الصوري . الحروب الصليبية ، ج3 ، ص268 – 237 . ميخائيل زابوروف . الصليبيون في الشرق ، (دار التقدم ، موسكو ، 1986) ، ص177 – 183. آرنست باركر . الحروب الصليبية ، نقله إلى العربية السيد الباز العريني ، (ط2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1967 م) ، ص72 – 77 .

Ostrogorsky (G) , History of Byzantine , pp. 338 - 339

106. الدولة الساسانية 226 – 651م : The Sassanides : تنسب إلى ساسان جد هذه الأسرة ، وهي أسرة حكمت إيران والإمبراطورية الفارسية منذ القرن الثالث الميلادي حتى منتصف القرن السابع الميلادي ، حين قضى عليها العرب المسلمون عند فتحهم لإيران . يذكر أن الساسانيين أقاموا دولة إيرانية ذات دين قومي هو الزرادشتية وحكومة مركزية قوية وجيشا مدربا نافسوا به جيوش الرومان . وفرضت السلالة الساسانية سيطرتها على إيران لمدة أربعة قرون ونيف ، وحكم فيها نحو 40 ملكا . لمزيد من التفاصيل ينظر : آرثر كريستنس . إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، (دار النهضة العربية ، بيروت ، 1982 م) ، ص426 428 ، 350 .

107. نشير هنا إلى أن كثيراً من المصادر العربية والأجنبية المتوافرة قد أوردت أخبارا عن مثل هذه الاتصالات . ويبدو أن تجاهل المورخ البيزنطي شونياتس Choniates الذي كان معاصرا للمفاوضات بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي لم يكن راضيا عنها ، ولهذا تعمد أن لا يأتي عليها في مذكراته.

108. يذكر هنا أن حاكم قبرص في تلك الفترة هو إسحق كومنين Isaac Comnenus الذي حجز عددا من سفن الملك ريتشارد قلب الأسد Richard the lion Heart ، كما أنه امتنع عن تقديم أي معونة مادية أو عسكرية للقوات الصليبية في أثناء قيام الملك الصليبي جاي دي لوزينان Guy de Lusignan بحصار مدينة عكا قبيل وصول الحملة الصليبية الثالثة ، مما دفع الملك الإنجليزي ريتشارد Richard إلى الاستيلاء على جزيرة قبرص . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : ستيفن رنسيمان . تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص92 . جلال حسني سلامة . عكا ، ص105 – 106 .

Mayer , H . E ., The Crusades , p. 145 . Michaud , J . F . , The History of the Crusades , vol. 1 , p. 475 . Painter , Sidney . The third Crusade : Richard the Lion Heart and Philip Augustus in Setton , vol . 11 , (London , 1969) , .p. 62

109. أبو شامة . الروضتين في تاريخ الدولتين ، ج4 ، ص129 .

ويقصد بالعدو هنا ، الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart الذي استولى على جزيرة قبرص قبيل وصوله إلى مدينة عكا ومشاركته في حصارها في الحملة الصليبية الثالثة . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : ابن شداد . النوادر السلطانية ، ص157 – 158 . أبو شامة . الروضتين ، ج4 ، ص 143 – 144 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية والمعربة:

1. ابن الأثير، أبو الحسن بن علي بن أبي الكرم الشيباني.

- الكامل في التاريخ، ج12، (د. ط، دار صادر، بيروت، 1979 م).

- الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبدالقادر طليمات، (د. ط، دار المكتبة الحديثة، القاهرة، 1963).

2. بورشارد

- وصف الأرض المقدسة، ترجمة د. سعيد عبدالله البيشاوي، (ط1، عمان، دار الشروق، 1995م).

3. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد

- رحلة ابن جبير، تحقيق وليم رايت William Wright، (ليدن، 1907م).

4. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد

- سير أعلام النبلاء، ج15، تعليق محمد أيمن الشبراوي، (دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/ 2006م)

5. ريموندا جيل

- تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة د. حسين عطية، (1990م).

6. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق2، (د. ط، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، (1370هـ/ 1951م).

7. أبو شامة، عبدالرحمن إسماعيل المقدسي

- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، تحقيق محمد حلمي أحمد، (القاهرة، 1962م).

- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج3، (ط، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002 م).

- ذيل الروضتين، نشر عزت العطار الحسيني، (القاهرة، 1947م).

8. ابن شداد، القاضي بهاء الدين يوسف

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي"، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة، 1962م).

9. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر

- لسان الميزان، ج1، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، (مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1423هـ/ 2002م).

10. العماد الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن محمد

- الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، (د. ط، الدار القومية، القاهرة، 1965م)

11. فوشيه الشارتري

- تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، (ط1، دار الشروق، عمان، 1990م).

12. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة

- ذيل تاريخ دمشق، تحقيق آمدروز، (بيروت، 1908).

13. متى الرهاوي

- تاريخ متى الرهاوي، ترجمة وتعليق د. محمود محمد الرويضي و عبدالرحيم مصطفى، (ط1، مؤسسة حمادة للدراسات، إربد، الأردن، 2009م).

14. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، تحقيق جمال الدين الشيال، (ط1، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م).

15. وليم الصوري

- الحروب الصليبية، ج1، ترجمة د. حسن حبشي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م).

16. يعقوب الفيتري

- تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق د. سعيد البيشاوي، (ط1، دار الشروق، رام الله، 1998م).

ثانيا: المصادر الأجنبية:

1. *Anonymus.*

- *The third Crusade , (N. D).*

2. *Anna Comnenna:*

- *The Alexiad , tran. from the Greek by E. R. Swear , (Pengium Books 1969).*

3. *Eracles.*

- *Estoire d, Eracles Empereur et de Conquest de La Terre d, outre mer Ed. R. H. C – H. Occ. , tom , II (Paris 1859).*

4. *Ernoul.*

- *Le Chronique d,Ernoul et de Bernard Le Tresorier. ed. Mas Latrie , (Paris , 1871)*

5. *Geoffery de Vinsauf.*

- *Chronicales of The Crusade , Itinerary of Richard and other to The Holy Land , (London , 1848).*

6. *Kinnamus*

- *Deed of John and Manuel Comnenus , trans. By Charles M. Brand , (Colombia , 1976).*

ثالثا: المراجع العربية والمعربة:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون

- المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، (ط3، دار عمران، القاهرة، 1980م).

2. أحمد شلبي

- مقارنة الأديان 2 المسيحية، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1993م).

3. إدوارد جيبون

- اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج1، ترجمة علي أبو درّة، (القاهرة، المؤسسة

المصرية العامة للتأليف، 969 م).

4. آرثر كريستنس

- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، (دار النهضة العربية، بيروت، 1982م).

5. آرنست باركر

- الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، (ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1967م).

6. إفرام عيسى يوسف

- الحملات الصليبية كما يرويها المؤرخون السريان، (ط1، دار الطليعة، بيروت، 2010م).

7. أومان

- الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، (القاهرة، 1953 م).

8. بارنولد

- تاريخ الترك في العصور الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، (ط. الأنجلو المصرية، 1958 م)

9. جلال حسني سلامة

- عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، (ط1، دار الفاروق، نابلس، 1998 م).

10. جوزيف نسيم يوسف

- العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية في الحرب الصليبية الأولى، (ط2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983 م).

- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999 م).

11. حسام الدين جاد الرب أحمد

- جغرافية أوروبا الجديدة دراسة إقليمية، (ط1، دار العلوم، مصر، 1428هـ/ 2007م).

12. خير الدين الزركلي

- الأعلام، قاموس تراجم، ج6، (ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م).

13. رأفت عبدالحميد.

- بيزنطة بين الدين والفكر والسياسة، (ط القاهرة، 1997 م).

14. ستيفن رنسيمان

- تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ترجمة السيد الباز العريني، (ط3، 1413هـ/ 1993م.

- الحضارة البيزنطية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، (ط القاهرة، 1961م).

15. سعد رستم

- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، (ط1، الأوائل، دمشق، سورية، 1425هـ/ 2004م).

16. سعيد عبدالفتاح عاشور

- أوروبا العصور الوسطى، ج1، (ط10، مكتبة الأنجلو المصرية، 1986 م).

- قبرص والحروب الصليبية، (القاهرة، 1957م).

- الحركة الصليبية، ج2، (ط 1963م).

17. سعيد عبدالله البيشاوي

- إقطاعية نابلس في عصر الحروب الصليبية، 492 690 هـ/ 1099 1291 م، (ط2، رام الله فلسطين، 2014 م).

18. السيد عبدالعزيز سالم

- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1966م).

19. شرين ثابت حسني عبدالجواد

- ألفاظ المقادير في العربية "دراسة في البنية والدلالة"، رسالة ماجستير غير منشورة- (كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2012م).

20. طه خضر عبيد

- تاريخ الدولة البيزنطية 324 – 1435م، (ط1، دار الفكر، عمان، 1430هـ/ 2010م).

21. عبدالنعيم محمد حسنين

- سلاجقة إيران والعراق، (ط2، القاهرة، 1970 م).

22. عفاف سيد صبرة

- تاريخ الدولة البيزنطية، (ط1، دار المسيرة، عمان، 1433 هـ/ 2012 م).

23. عمر كمال توفيق

- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006م).

24. الشيخ محمد الخضري بك

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، (د. ط، المكتبة التجارية، مصر، د. ت).

25. محمد خميس الزوكة

- آسيا دراسة في الجغرافيا الإقليمية، (ط. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997 م).

26. محمد فريد بك المحامي

- تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، (ط1، دار النفائس، بيروت، 1401هـ/ 1981م).

27. محمد محمد عبدالحميد فرحات

- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (ط1، دار الوفاء الإسكندرية، 2013 م).

28. محمد محمد مرسي الشيخ

- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م).
- عصر الحروب الصليبية في الشرق، (الإسكندرية، 2001م).

29. محمد مؤنس عوض.

- في الصراع الإسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية 541 569 هـ/ 1146 1174 م، (ط1، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 1998).
- صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، (ط1، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2008).
- صلاح الدين الأيوبي فارس عصر الحروب الصليبية "1138 – 1193م"، (ط، دار الشيماء، رام الله، 1435هـ/ 2014م).
- الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة (330 – 1435م)، (ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1437هـ/ 2007م).

30. محمود سعيد عمران

- المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس، (ط. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004 م)
- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل، (الإسكندرية، 1985م).

- معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (دار المعرفة الجامعية، 2000م).

31. محمود فايز السرطاوي

- نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، (ط1، دار البشير، عمان، 1990م).

32. مصطفى مراد الدباغ

- بلادنا فلسطين، ج1، ق2، (ط2، 1985م).

33. منير البعلبكي

- المورد قاموس إنجليزي عربي، (ط4، دار العلم للملايين، د. ت).

34. ميخائيل زابوروف

- الصليبيون في الشرق، (دار التقدم، موسكو، 1986م).

رابعا: المراجع الأجنبية

1. *Benvenisti , M. ,*

- *The Crusaders in the Holy Land , (Jerusalem , 1976).*

2. *Bynes and Moss*

- *Byzantine , (Oxford , 1948).*

3. *Cheetman , Nicolas.*

- *Keepers of the keys. (Charles Scribner,s Sons , 1982).*

4. *Conder , C. R. ,*

- *The Latin Kingdom of Jerusalem , “ 1099 – 1291 “ , vol 1 (A. D. , London , 1897.*

5. *Finlay , G. ,*

- *History of the Byzantine empire , vol. III , (London , 1906).*

6. *Grousset , R. ,*

- *Histoire des Croisades , tom 6 “ 1185 – 1210 “ , (Paris , 1981).*

7. *Hagenmeyer (H) ,*

- *"Chronologie de La Premiere Croisade" , R. O. L. T. VII , Anee 1899.*

8. *Hill , G. H ,*

- *History of Cyprus , vol. 2 , (Camb , 1948).*

9. *Hussy , T. M. ,*

- *The Byzantine World , (London , 1967).*

10. *Leih , B. ,*

- *Ann Comnene , Alexiad , (Paris , 1937).*

11. *Mawer , A. ,*

- *The Vikings , (Cambridge , 1930).*

12. *Mayer , H. E. ,*

- *The Crusades , trans. by John Gillingham , (Oxford University , 1988).*

13. *Michaud , J. F. ,*

- *The History of the Crusade , vol. 1 , (New York , 1881).*

14. *Orton (E) ,*

- *Outlines of Medieval History , (Cambridge , 1924).*

15. *Ostrogorsky , G. ,*

- *A History of the Byzantine States , trans. by Hussey , (Oxford , 1956).*

16. *Painter , Sidney*

- *The third Crusade: Richard the Lionhearted and Philip Augustus in Setton , vol. 11 , (London , 1969).*

17. *Reston , James ,*

- *Warriors of God: Richard the Lion heart and Saladin in the Third Crusade , (Random House Inc. , 2001).*

18. *Stevensons , W. B. ,*

- *The Crusaders in the East , (Beirut , 1968).*

19. *Vartan Le Grand ,*

- *Abrege d, Histoire Universelle , (R. H. C. Doc. Arm. ,) I , (Paris , 1896).*

20. *Vasiliev , A.*

- *History of the Byzantine Empire , (Madison , 1952).*

21. *Wiensowski , H. ,*

- *The Norman Kingdom of Sicily and Crusade in Setton , vol. II , (Wisconsen 1969).*

خامسا: الدراسات العربية والمعربة

1. سليمان قطاية

- الخيل أثناء الحروب الصليبية، مجلة المورد، مج 20، عدد1، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، 1992م).

2. صلاح الدين البحيري

- المخابرات الأيوبية في مواجهة الصليبيين، مجلة المؤرخ العربي، عدد41، 42، (الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1410هـ/ 1990م).

3. عادل عبدالحافظ

- "موقف ألمانيا من هزيمة الصليبيين في حطين "، التاريخ والمستقبل، م1، عدد1، (1991م).

4. مارشال بلدوين

- اضمحلال وسقوط بيت المقدس 1174 – 1189م، ترجمة وتعليق د. سعيد عبدالله البيشاوي، تاريخ الحروب الصليبية، إشراف كينيث سيتون، (ط1، بيت المقدس للنشر، رام الله، 2004م).

5. محسن محمد حسين

- مسؤولية صلاح الدين في فشل حصار صور، (المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد26، مج7، 1987م).

سادسا: الدراسات الأجنبية

1. *Baldwin , M. ,*

- *"The Latin states under Baldwin III and Amalric I " in Setton , History of the Crusades , vol. I , (pernsylvania , 1958).*

2. *J. Prawer.*

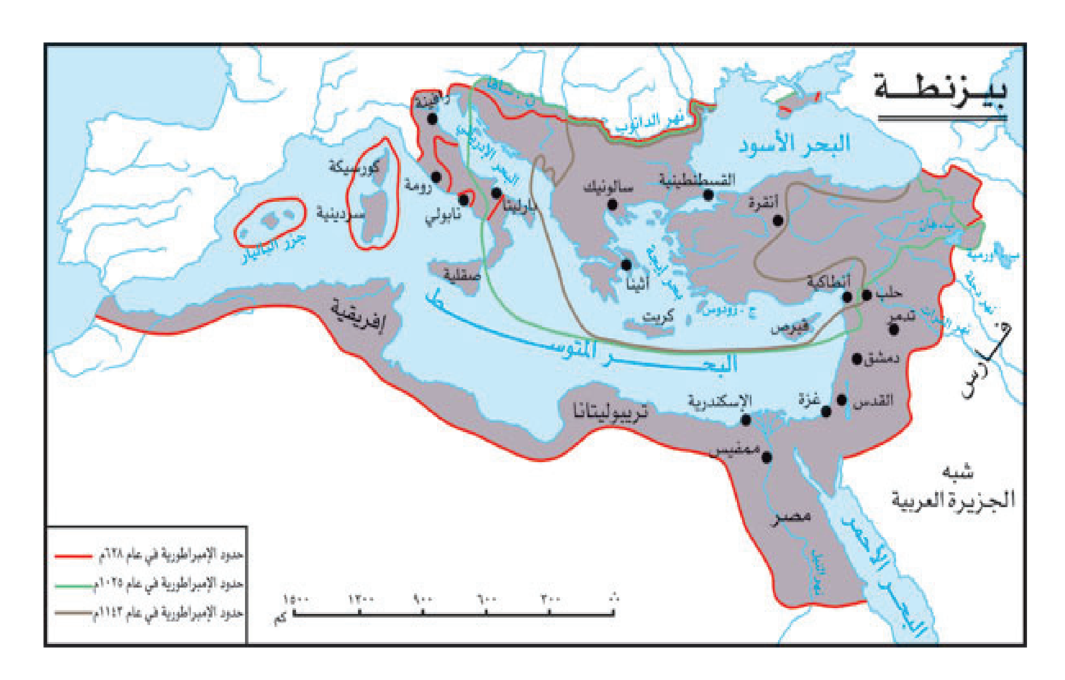
- *The Settlement of the Latin in Jerusalem , (Specullum , 27 , 1952).*
- *Cambridge Medieval History , vol. 5 (Cambridge , 1924).*

سابعا: مواقع الإنترنت

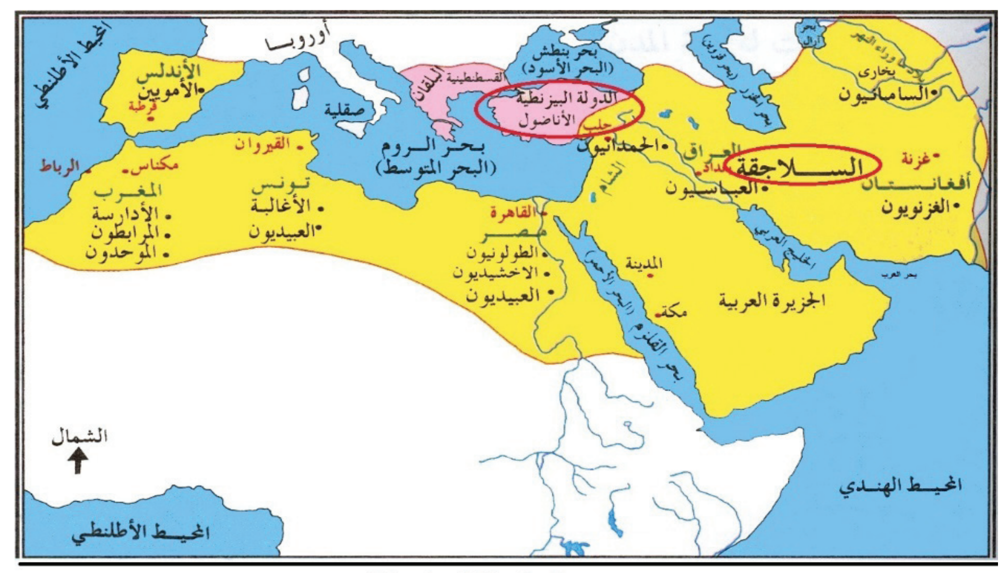
3. 2017/7/22 أدرنة https: // ar. Wikipedia. org/ wiki
4. 2017/2/14 أرمينيا https: // ar. Wikipedia. org/ wiki
5. 2017/1/24 إيجين https: // Wikipedia. org/ wiki
6. 2017/3/6 إينوس https: // en. Wikipedia. org/ wiki
7. 2016/11/2 بارثيون www. Marefa. org/ index. php
8. 2017/2/1 البحر الأدرياتيكي https: // ar. Wikipedia. org/ wiki
9. 2017/1/26 البندقية https: // Wikipedia. org/ wiki
10. 2017/5/4 بونيفاسيو alrai. com/ article/ 684093 html
11. 2017/1/26 بيزا https: // ar. Wikipedia. org/ wiki
12. 2017/3/1 تراقيا https ;// Wikipedia. org/ wiki
13. 2016/11/2 الروبينية www. Pinterest. com
14. 2017/3/1 رومانيا https: // ar. Wikipedia. org/ wiki
15. 2016/11/2 سافا https: // Wikipedia. org. wiki

16. https: // ar. Wikipedia. org/ wiki سالونيكا 2017/2/1
17. https: // ar. Wikipedia. org/ wiki صوفيا 2017/1/24
18. first ten. plogspot. com العاني 2016/11/1
19. https: // ar. Wikipedia. org/ wiki كورسيكا 2017/5/4
20. https: // ar. Wikipedia. org/ wiki مارغريت النفارية 2017/1/29
21. https: // ar. Wikipedia. org/ wiki مرجعيون 2017/3/7
22. https: // ar. Wikipedia. org/ wiki ملكانيون 2017/2/14
23. Site. iugaza. edu. Ps/ slesel/ files/ 2015/ docx المسكوكات البيزنطية 2017/4/7
24. https: // ar. Wikipedia. org/ wiki مونستر 2017/2/14
25. https: // arz. Wikipedia. org/ wiki نهر الدانوب 2017/1/24
26. https: // ar. Wikipedia. org/ wiki نيش 2017/1/24
27. History of the Aromanians – Wikipedia. the free encyclopedia 2017/ 2/ 19
28. https: // mawdoo3. com 2017/ 2/ 23

الملاحق:

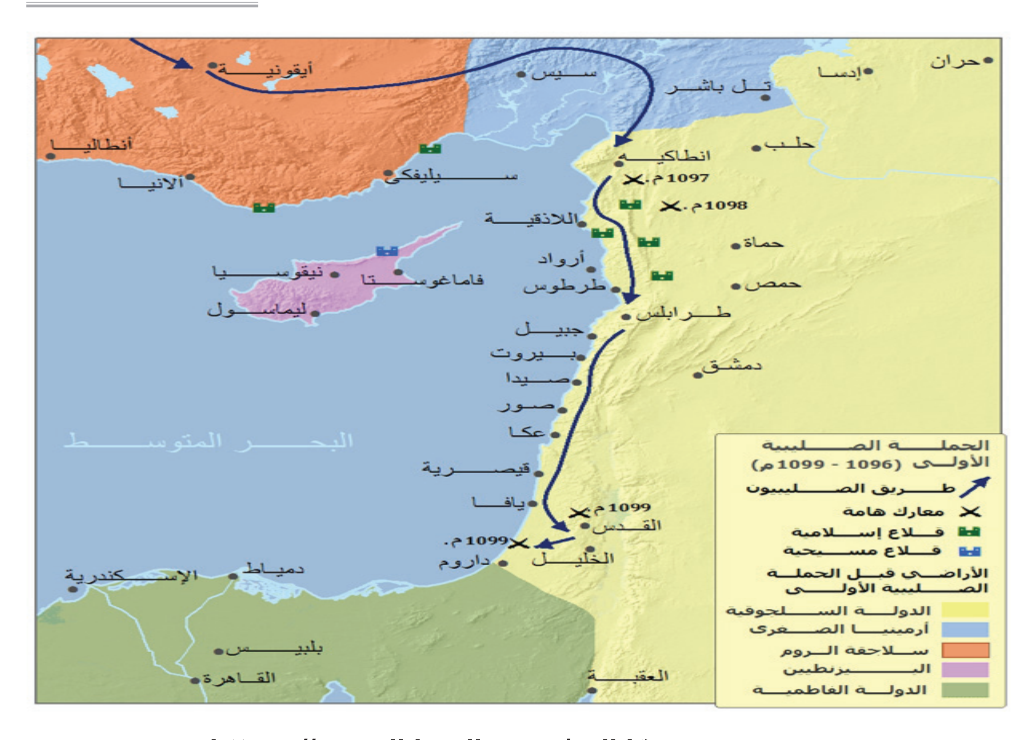


https: // ar. wikipdia. org/ wiki الإمبراطورية البيزنطية



موقع الدولة السلجوقية

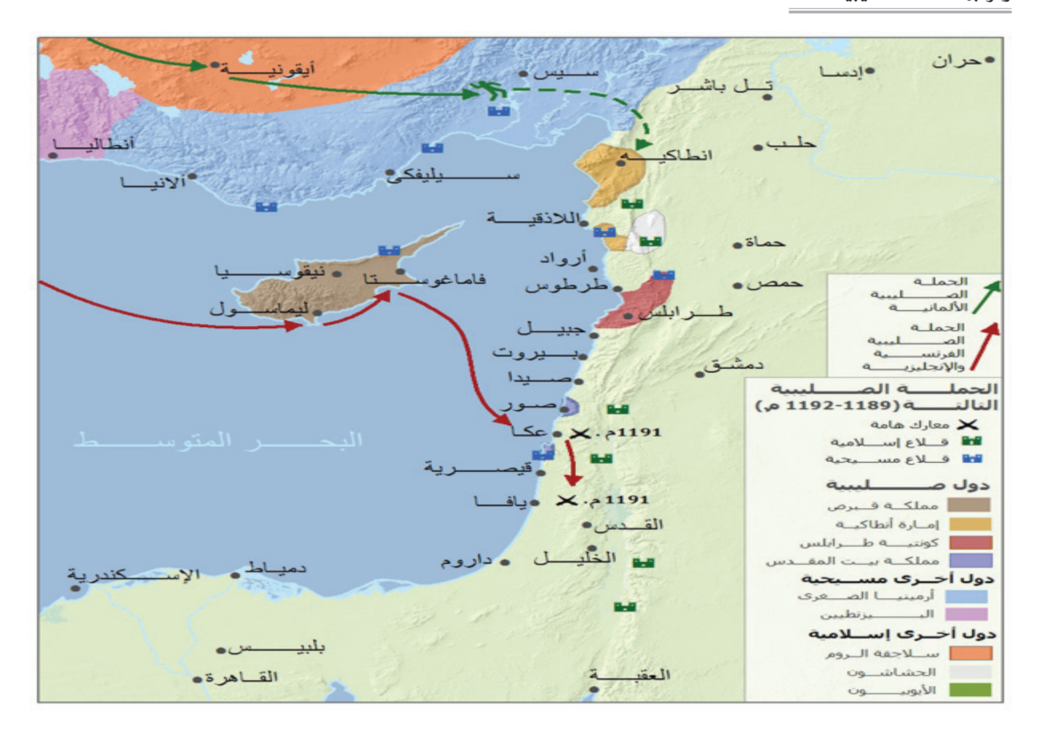
https: // ar. wikipedia. org/ wiki الدولة السلجوقية



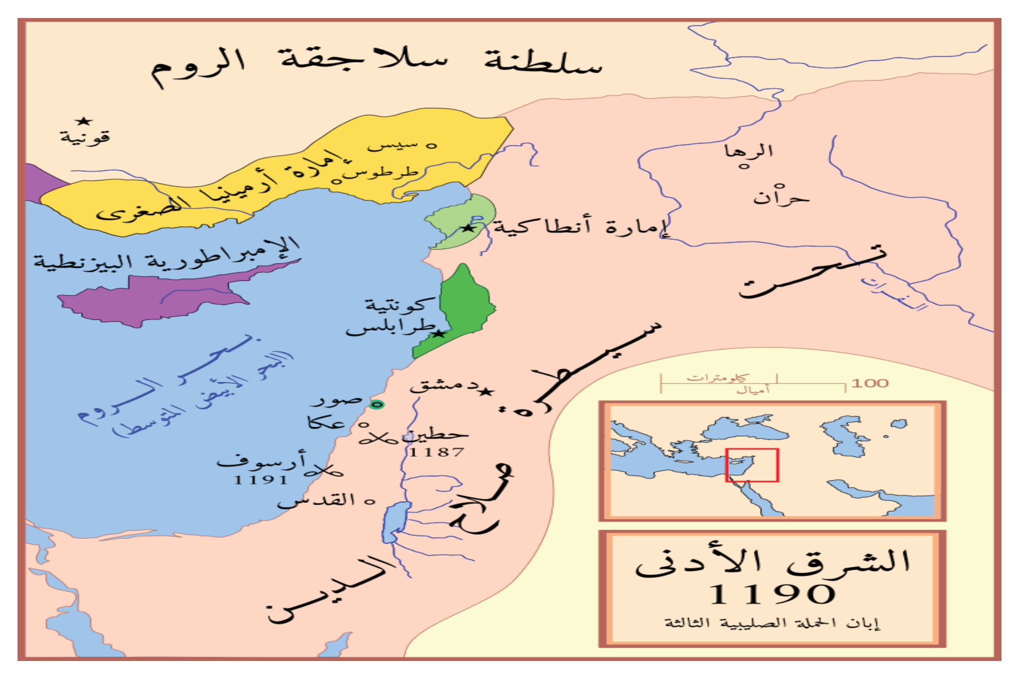
https: // ar. wikipedia. org/ wiki خرائط الحملات الصليبية



/https: // islamicstory. com/ ar/ artical الدولة الأيوبية



خرائط الحملات الصليبية https: // ar. wikipedia. org/ wiki



صور خريطة الشرق الأدنى 1190 https: // ar. wikipedia. org/ wiki

the necessity of playing a subordinate role in an alliance prepared the way for the once great empire's ultimate position as a minor power in the Eastern Mediterranean.

DUMBARTON OAKS RESEARCH LIBRARY

APPENDIX

The question of the origin and reliability of the anonymous letter in Magnus deserves consideration. It has no address and perhaps began with other matters; it breaks off abruptly, after a mention of Saladin's determination to do something about the forthcoming Third Crusade and his embassy and gifts to Isaac, but without describing any of the terms Saladin proposed at this time. Magnus has interpolated this letter (with the notation: "Ut autem ordo historiae de qua agimus, ad notitiam posterorum manifestius perducatur, placuit hic interponere litteras eandem historiam continentes, scriptas siquidem in ultramarinis partibus et missas in partes nostras, sicque ad nos perlatas." Magnus, *Chron.*, pp. 510–511) after a narration of Barbarossa's difficulties in the Balkan peninsula, evidently with the purpose of explaining the Byzantine attacks, although the letter itself never reaches the point of making precise the agreement between Isaac and Saladin whereby Isaac undertook to destroy the crusade.

The last events mentioned in the letter occurred, apparently, in the summer of 1188; many of the same facts are mentioned in Conrad of Montferrat's letter of 20 September 1188 to Archbishop Baldwin of Canterbury, in Roger of Wendover, *Flores*, I, 153–154 (Röhricht, *Regesta*, No. 676), part of which is repeated verbatim in the report of the French embassy to Constantinople (commonly dated between September and November 1188), in Benedict of Peterborough, *Gesta regis Henrici*, II, 51–53 (mentioned by Röhricht, *Regesta*, under No. 688). Before coming to Palestine, Conrad of Montferrat had lived at Constantinople (spring and early summer 1187), as brother-in-law of the emperor Isaac, so that he had every opportunity of learning of Isaac's relations with Saladin. Among the other possible sources of his information, the writer of the anonymous letter mentions one: in 1186 the count of Tripoli and prince of Antioch learned of the alliance of Isaac and Saladin "a fidelibus suis et quibusdam Sarracenis nobilioribus, quorum consanguineos Saladinus suffocaverat" (Magnus, *Chron.*, p. 511). In addition, Conrad's letter (Roger of Wendover, *Flores*, I, 153) reports that the Mahomerie (*i.e.*, mosque-pulpit: see n. 13, above) sent by Saladin to Constantinople in 1188 and mentioned in the concluding sentence of the anonymous letter was captured by the Genoese at sea and brought to Tyre: probably much of the writer's precise information derived from captives taken on this occasion.

The letter's author was noticeably proud of the defense made at Tyre against Saladin: "Saladinus victus ignominiose ante Tyrum" (Magnus, *Chron.*, p. 512). The probable correctness of the gift lists in the anonymous letter is shown by the similar list of those sent Isaac in 1192 by Saladin, as stated in Isaac's complaint to the Genoese (November 1192), in Sanguineti and Bertolotto, "Doc. gen.," *loc. cit.*, p. 448–453 (Dölger, *Regesten*, No. 1612). These factors, together with the degree of precise detail contained therein, suggest that the anonymous letter is a genuine product of the late summer or fall 1188, from Conrad or his circle at Tyre. That Magnus omitted something at the end also seems likely.

On the subject of this letter, see Riezler, "Kreuzzug," *loc. cit.*, p. 36, n. 8; Reinhold Röhricht, *Beiträge zur Geschichte der Kreuzzüge*, II (Berlin, 1878), 190–192; the same author's *Königreich Jerusalem*, p. 494, n. 1; Cognasso, "Isacco II," *loc. cit.*, p. 256, n. 4, and p. 257, n. 1–5.

The alliance produced a visible reduction in the empire's prestige and self-esteem. In the realm of political theory, Byzantium had scarcely admitted any nation to be its equal since the demise of Sassanid Persia; because the Roman Empire was God's chosen vehicle for the Christianization and governance of the world, no state could or should approach it except as a humble suppliant. While seeking the friendship of Saladin, the Byzantine emperors sought to perpetuate this image, as when Andronicus demanded Saladin's homage and Isaac sent a crown with a declaration intended to convey the idea that Byzantium retained the right of granting or withholding all legitimate titles. When Saladin ignored or repulsed these moves, the realities of the situation soon forced Byzantium into a decidedly subordinate position, for it was clearly the weaker partner. Isaac was forced to accept the humiliating devastation inflicted by the German crusaders in the hope that Saladin would eventually reward him for his loyal service. No reconciliation between Byzantine pretensions and the facts of politics was attempted; the claim to supremacy was quietly dropped as Andronicus' bluster subsided into Isaac's whine. The Byzantine historian, Nicetas Choniates, a high government official who could scarcely have been ignorant of something that was public knowledge in the West, never mentions the alliance with Saladin.[26]

In the end, the alliance between ancient enemies against the Latin interloper failed; Saladin was too distant to protect Isaac Angelus from his foes, and the Byzantines were in no condition to offer serious resistance to crusaders. The Muslim estimate of the value of the alliance is bluntly stated in a letter of al-Fadil, written while Guy of Cyprus was an ally of Saladin:

> You should attribute no importance to our negotiations with the ruler of Constantinople in regard to the aid we ought to lend him against Cyprus, for we promised it only when the country was in our enemies' hands. In truth, the Greek king has never succeeded in his enterprises; we gain nothing from his friendship, and need fear nothing from his enmity.[27]

Isaac's own appraisal was even gloomier: "It seems to My Empire, that the only result of my friendship with you has been to draw down upon me the hatred of the Franks and of all their kind."[28] The alliance with Saladin added much to the rising Western hostility for Byzantium which culminated in the diversion of the Fourth Crusade and the Latin capture of Constantinople. Isaac's acceptance of

---

Anstruther, Caxton Society Publications (London, 1851), p. 97; *Chronica regia coloniensis* (*Annales maximi colonienses*), ed. Georg Waitz, SSRG in usum scholarum (Hanover, 1880), p. 147; *Regni iher. hist. brevis*, pp. 140–141; *Chronicon Montis Sereni*, ed. Ernst Ehrenfeuchter, MGH SS, XXIII (Hanover, 1874), 161.

[26] The only mention by Nicetas is an indirect quotation of what the Germans were saying about Isaac's conduct; in describing his own peace-making activities during the conflict with Barbarossa in Thrace, he says: "And we ourselves returning [to Constantinople] a little later related everything, declaring that the Germans said there was no difference between the faithful Emperor of the Romans' ignoring the treaties of the western Christians and his making a treaty with the ruler of the Saracens . . ." (Nicetas, *Hist.*, p. 536). Even this statement treats the alliance with Saladin as a hypothetical alternative.

[27] Abu Šamah, *Livre des deux jardins*, p. 510.

[28] Bohadin, *Life of Saladin*, p. 201.

man emperor, and the pope, the Eastern Empire leaned on the expanding Islamic power in Syria and Egypt. Isaac Angelus, in particular, derived a sense of confidence and security from it which ultimately led him into difficulties. His hostility to Barbarossa sprang largely from this cause; in order to fulfil his part of the treaty, he had to oppose any crusading army which entered the Byzantine domains. The rewards promised were goals Andronicus and the earlier Comneni had striven for, namely, recovery of rebellious Cyprus, repossession of the Holy Land, and re-establishment of the tenth century boundaries in Asia Minor. The failure of the alliance with Saladin forced a complete reversal of policy in the form of a rapprochement with the smaller Western powers in order to counter the growing ambitions of Henry VI.

That the alliance had any great effect on the course of events in the Levant appears doubtful. Isaac's relations with the Melkites may have speeded the surrender of Jerusalem, but the city was in no condition to hold out against the overwhelming force of the Muslims. Had Barbarossa's crusade actually reached the Holy Land in full strength and with undiminished discipline, it might have materially altered the situation, but its destruction was by no means the work of Isaac. His strongest attacks amounted to little more than pinpricks, and the crusaders suffered more from the terrain and climate than from the emperor. The Byzantines derived little tangible benefit from their alliance with Saladin; although some of the churches of the Holy Land came into the possession of the Orthodox, Cyprus, captured by the Latins, became an ally of Saladin before his death, and Iconium remained in Muslim hands. Isaac's alliance with Saladin, although fateful for the empire, altered little the situation in the Orient.

The evil effects of the tie with the Muslims on Byzantium's reputation were more enduring. The Latins of Syria were frankly alarmed at such a conjunction, and sought to stigmatize it throughout Europe. Frederick Barbarossa, while in Thrace, even instructed his son to urge the pope to preach a crusade against the Byzantines. The preference of Richard the Lion-Hearted, Philip Augustus, and later crusades for the sea-route is not unconnected with Isaac's relations with the enemies of the Cross. Recollection of this policy surely influenced the men of the Fourth Crusade, and it had certainly served to discredit the Eastern Empire. Throughout the twelfth century, at the time of the crusades of 1101, during Bohemond's conflict with Alexius Comnenus, and after the Second Crusade, charges of Byzantine complicity with the Muslims had been levelled; in the present instance they were justified.[28]

[28] For the alarm of the Syrian Latins, see the anonymous letter from the East, Conrad of Montferrat's letter to Baldwin of Canterbury, and the French embassy's report, all frequently cited above. Frederick Barbarossa's appeal for a crusade is contained in his letter of 18 November 1189 to Henry VI, in Ansbert, *Hist.*, pp. 42–43. For Western knowledge of Isaac's alliance with Saladin, see, in addition to the sources for Barbarossa's crusade: *Continuatio weingartensis Chronici Hugonis a Sancto Victore*, ed. Ludwig Weiland, in Monumenta Welforum antiqua (SSRG in usum scholarum) (Hanover, 1869), p. 53; William of Newburgh, *Historia rerum anglicarum*, ed. Richard Howlett, in Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II, and Richard I, Rolls Series, I (London, 1884), 326; Richard of London, *Itinerarium peregrinorum et gesta regis Ricardi*, ed. William Stubbs, in Chronicles and Memorials of the Reign of Richard I, Rolls Series, I (London, 1864), 46; Ralph Niger, *Chronica*, ed. Robert

alleged to have formerly existed; they included demands for the True Cross (that is, the fragments which Saladin had captured), for Orthodox possession of the churches of Jerusalem (which Saladin meditated yielding to Latin clergy as part of the price of Richard the Lion-Hearted's departure), for an offensive and defensive alliance between the two powers, and for a joint naval expedition against Cyprus. Although Saladin allegedly refused all these terms (actually, he may have given the envoy a piece of the True Cross), he despatched Ibn al-Bezzay, an Egyptian, as ambassador to Constantinople, to return with the Byzantine.[23]

As usual, Saladin sent rich gifts with his representative; these included horses, wild and tame animals from Egypt and Libya, aloe wood, balsam, and twenty-seven golden horse-trappings studded with gems and pearls. Isaac later evaluated these presents at 6675 hyperpers. In the late summer or early autumn the Byzantine and Saracen envoys sailed for Constantinople on a Venetian ship belonging to a certain Pordano. At sea, evidently near Rhodes, the vessel fell in with a fleet of Genoese and Pisan corsairs under the command of Guglielmo Grasso, who was rapidly making himself the terror of the region. The Venetian ship was pillaged, and Isaac's and Saladin's emissaries were all put to death. At this time, according to a later story, a Pisan named Forte seized the fragment of the True Cross which Saladin's envoys were carrying; he took it to the Pisan fortress of Bonifacio, on the coast of Corsica, where it was captured by the Genoese in 1195 and added to the relics treasured by the city. In November 1192 Isaac complained to Genoa and Pisa about this and other piratical outrages, and from Genoa he appears to have obtained some compensation for the financial losses he had sustained. The Byzantine emperor's relations with Saladin, however, were terminated by this event. Saladin was disillusioned with Isaac's military capabilities, while Isaac finally realized that Saladin was too distant to protect him from the Latins. By the time of Saladin's death in 1193 Isaac Angelus had reversed his policy and formed alliances with Genoa and Pisa, the pope, and the Sicilian Normans, which he hoped would relieve him of his former dependence upon the Muslims.[24]

From 1185 to 1192 the alliance with Saladin was the cornerstone of Byzantine foreign policy. In the face of the hostility of Normans, Pisans, Genoese, the Ger-

[23] Bohadin, *Life of Saladin*, pp. 334–335 (Dölger, *Regesten*, No. 1608); Cognasso, "Isacco II," *loc. cit.*, pp. 275–276; Steven Runciman, *A History of the Crusades*, III (Cambridge, England, 1954), 63, 73–74.

[24] Isaac retails the story of Grasso's attack in three different places: the letters of complaint to Genoa and Pisa (Sanguineti and Bertolotto, "Doc. gen.," *loc. cit.*, pp. 448–453; Müller, *Doc. tosc.*, p. 66), and the 1193 chrysobull to Genoa (Sanguineti and Bertolotto, "Doc. gen.," *loc. cit.*, pp. 454–464) (Dölger, *Regesten*, Nos 1612, 1616, and 1618). The story of Forte is in *Regni iherosolymitani brevis historia*, ed. Luigi Tommaso Belgrano, Annali genovesi di Caffaro e de' suoi continuatori dal MXCIX al MCCXCII, I [Fonti per la storia d'Italia, pubblicate dall' Istituto storico italiano, XI] (Genoa, 1890), 140–141; see J. K. Fotheringham, "Genoa and the Fourth Crusade," *English Historical Review*, XXV (1910), 28–29. A. Frolow, *Recherches sur la déviation de la IV^e Croisade vers Constantinople* (Paris, 1955), p. 68, in his survey of the histories of various fragments of the True Cross, mentions that Isaac's 1192 embassy requested it from Saladin, but does not include the story of Forte.

ers was made known to Saladin by reports of their progress through Asia Minor; the most notable of these bulletins was a letter from Basil, bishop of Ani and catholicos of Armenia, an Arsacid who favored Saladin out of hatred for the pro-Latin Roupenids of Cilician Armenia. The bishop gave an exaggerated account of the strength, discipline, and endurance of the Germans, and the Arabic historians of the period reflect the dread which Barbarossa's advance produced in their camp. In June 1190 Frederick drowned at the border of the Roupenid territory, and his army broke up almost immediately; Saladin, though, already knew enough to evaluate Isaac's deeds at their real worth. When, in the early summer of 1190, Isaac sent him word of Barbarossa's passage across the Straits and sufferings in Anatolia at the hands of the nomadic Turkomans who inhabited the fringes of the sultanate of Rum, Saladin did not even reply.[21]

In the summer of 1191 Isaac again sent Saladin a messenger equipped with gifts, a letter, and a verbal message; he was received by Saladin's brother, al-Adil. Saladin's foreign minister, al-Fadil, has preserved a résumé of the Byzantine statement. Isaac boasted that he had rejected repeated Western demands for assistance, declared that he had closed the passes and put his fortresses on guard against the crusaders, and alleged that he had excused to the Latins his failure to participate in the crusade by claiming that the ravages of pestilence and lack of supplies rendered postponement necessary. Al-Fadil then makes an appraisal of Isaac's motives and achievements which may represent a summary of al-Adil's reply. The Byzantine emperor, he declares, merely wished to defend his own lands against the crusaders, while pretending to act in the Muslims' interests. As to the patriarchate of Jerusalem, which now depended on him, Isaac was said to have told the Latins that his control lasted only until the Western ruler gave it to one of his own followers. By this excuse, Isaac had allegedly kept the Latins away from his own person, especially after Muslim prayer in the name of the Abbasid caliph had been established at Constantinople. Finally, according to al-Fadil, Saladin rejected all Byzantine requests which might damage the cause of Islam, a statement which suggests that the Byzantine emperor had again desired Saladin to give him control of the Holy Land or join in an attack on Iconium.[22]

The emperor, although once more beginning to seek allies in the West because of the growing strength of Henry VI of Hohenstaufen, did not yet despair entirely of the fulfillment of Saladin's promises. On 15 May 1192 an ambassador from Constantinople reached Jerusalem and two days later was admitted to Saladin's presence. His requests were a repetition of the clauses of the treaty

[21] On Frederick's advance and death, see Ansbert, *Hist.*, pp. 76–92; *Hist. peregrinorum*, pp. 155–172; Riesler, "Kreuzzug," *loc. cit.*, pp. 55–70. On Manuel I's attack on Iconium, see Ferdinand Chalandon, *Jean II Comnène (1118–1143) et Manuel I Comnène (1143–1180)* (Paris, 1912; reprinted New York, 1960), pp. 250–255. Frederick's losses are reported in a letter (Philippopolis, 18 November 1189) to Henry VI, in Ansbert, *Hist.*, p. 43. For reports on Barbarossa's progress, see Bohadin, *Life of Saladin*, pp. 170–171, 182–189 (including the Armenian Catholicos' letter), 198. On Isaac's letter, which is not mentioned by Dölger, and the date of which can only be conjectured, see the report of Imad ed-Din, quoted in Abu Šamah, *Livre des deux jardins*, pp. 437–438.

[22] This embassy, Abu Šamah, *Livre des deux jardins*, pp. 506–509, is not mentioned by Dölger; Röhricht, *Königreich Jerusalem*, p. 497, n. 2, dates it summer 1191, on the basis of context.

responded with you for a long time past. Let this be done as soon as possible. I pray that the coming of the Germans, of which you have heard so many reports, may not weigh heavily on your hearts; the plans and purposes they entertain will work their own confusion. Written in the year 1501 [of the Seleucid era, equivalent to 1 September 1189–31 August 1190]."[18]

The querulous, frustrated tone of the letter, the repeated demands for a clear definition of Saladin's aims, the contradictory statements on whether the crusaders would succeed in reaching Syria, all betray Isaac's consciousness of his failure to destroy Barbarossa and his bitterness over Saladin's procrastination.

In February–April 1190, at the very moment he was making peace with Frederick and allowing him to cross the Straits, Isaac wrote again reminding Saladin that he had re-established public prayer in the name of the Abbasid caliph in the mosque of Constantinople and affirming anew his friendship for the Muslims. He also explained that he had been forced to allow Frederick to pass, but declared that the German emperor and his army would be in no condition to fight when they did reach Syria alive:

He has experienced every type of deception on the way; the sufferings he has endured and the shortage of his supplies have weakened and troubled him. He will not reach your country in any shape useful to himself or his army; he will find his grave there without being able to return and will fall victim to his own trap.[19]

Isaac repeated that he had done everything possible to destroy Barbarossa's army, and again pleaded with Saladin to send him an envoy with replies to the Byzantine requests. According to Saladin's secretary, Imad ed-Din, the sultan was favorably impressed and took action in accord with Isaac's desires; this probably means only that Saladin sent another embassy to Constantinople.[20]

Frederick Barbarossa, in the meantime, left the Byzantine Empire and marched through Asia Minor to Iconium, capital of the sultanate of Rum. This city, whose walls had withstood Manuel Comnenus, he stormed without difficulty—an achievement which must have shown to Saladin that Isaac Angelus' alleged decimation of the crusader army was largely fictitious. Frederick's own estimate of his losses in Thrace, somewhat over a hundred men up to 18 November 1189, after extensive guerrilla warfare, raids on Byzantine towns, and two engagements with Isaac's army, shows that Isaac had achieved little of his plan to destroy the crusaders; Barbarossa did, however, admit that his horses had been reduced in number. The ineffectiveness of Isaac's attacks on the German crusad-

[18] Bohadin, *Life of Saladin*, pp. 199–201 (Dölger, *Regesten*, No. 1601); the paragraphing is mine. The genuineness of this letter is beyond doubt; not only is the description of the letter convincing and the salutation characteristic (cf. for example Isaac's letter of November 1192 in Sanguineti and Bertolotto, "Doc. gen.," *loc. cit.*, p. 448), but the words and tone are pure Isaac Angelus. The Seleucid era was probably used in the dating clause as a system common to both cultures, without offensive religious connotations.

[19] Isaac's letter (Dölger, *Regesten*, No. 1604) is quoted thus by Imad ed-Din, Saladin's secretary, in a fragment given by Abu Šamah, *Livre des deux jardins*, pp. 470–471. The alleged content of the other parts of this letter show it to have been different from the previous one, of about December 1189: Dölger, *Regesten*, No. 1601.

[20] Abu Šamah, *Livre des deux jardins*, pp. 470–471.

tended his raids, seized Adrianople, and even planned a siege of Constantinople. Not until February 1190 did the Byzantine emperor finally give up hope of Saracen aid, admit defeat, and agree to the Treaty of Adrianople, which granted Frederick markets, passage to Asia Minor, and hostages to ensure Byzantine good behavior.[17]

In the light of Frederick's successes, Isaac's letter of about December 1189 carried by the replacement for the deceased envoy to Saladin, who was then at the siege of Acre, appeared a mixture of self-pity, bravado, and pleas for concrete acts on Saladin's part. A text of this letter, undoubtedly genuine and accompanied by a description of its appearance, has survived in a biography of Saladin by one of his companions; it vividly reveals Isaac's misgivings at a crucial moment of the alliance:

This envoy brought a letter about the matter under consideration. We will describe this document, and give a copy of the translation. It was written in wide lines, but narrower than in the writing of Baghdad. The translation on both back and front was in the second section; between the two the seal had been affixed. This seal was of gold, and had been stamped with a portrait of the King just as wax is impressed with a seal; it weighed fifteen dinars. The two sections of the letter ran as follows:

"From Aisākiūs [Isaac] the King, servant of the Messiah, crowned by the grace of God, ever glorious and victorious *Afghakūs* [imperial], ruling in the name of God, the invincible conqueror, the autocrat of the Greeks, Angelos, to His Excellency the Sultan of Egypt, Ṣalāḥ ed-Dīn, sincere affection and friendship.

"The letter written by Your Excellency to My Empire [Byzantine diplomatic form, equivalent to "Our Majesty"] has been safely received. We have perused it, and have been informed thereby of the death of our ambassador. This has occasioned us great grief, more especially because he died in a strange land, leaving unfinished the business with which My Empire had charged him, and on which he was to confer with Your Excellency. Your Excellency doubtless intends sending us an ambassador to inform our Empire of the decision that has been made relative to the business with the arrangement of which we charged our late ambassador. The property he has left, or which may be recovered after his death, must be sent to My Empire, that it may be given to his children and relatives.

"I cannot believe that Your Excellency will give ear to malicious reports of the march of the Germans through my dominions; it is not surprising that my enemies should propagate lies to serve their own ends. If you wish to know the truth, I will tell you. They suffered themselves more hardship and fatigue than they inflicted on my peasant population. Their losses in money, horses and men were considerable; they lost a great number of soldiers, and it was with great difficulty that they escaped my brave troops. They were so exhausted that they cannot reach your dominions; and even if they should succeed in reaching them, they could be of no assistance to their fellows, nor could they inflict any injury on Your Excellency. Considering these things, I am much astonished that you have forgotten our former [good] relations, and that you have not communicated any of your plans and projects to My Empire. It seems to My Empire, that the only result of my friendship with you has been to draw down upon me the hatred of the Franks and of all their kind. Your Excellency must fulfil the intention, announced in your letter, of sending me an ambassador to inform me of the decision in the business upon which I have cor-

[17] On the death of Isaac's envoy, and the sending of a replacement, see Bohadin, *Life of Saladin*, pp. 199–201 (Dölger, *Regesten*, No. 1601). Frederick's successes are described in Bishop Dietpold's letter in Magnus, *Chron.*, pp. 509–510; Ansbert, *Hist.*, pp. 27–64; *Hist. peregrinorum*, pp. 131–149; Nicetas, *Hist.*, pp. 526–529, 533–536. See also Cognasso, "Isacco II," *loc. cit.*, pp. 253–269; Riezler, "Kreuzzug," *loc. cit.*, pp. 28–53; Zimmert, "Deutsch-byz. Konflikt," *loc. cit.*, pp. 43–72.

At the same moment that Isaac seized the bishop of Münster's embassy, he sent envoys to Saladin, evidently to confirm the alliance; they reached him in August–September 1189 at Merj 'Ayun in Syria. In addition to the terms already known to the Latins, a clause regarding a joint attack on Cyprus was included at this time or not long afterwards. It is probable that a future Byzantine subjugation of the sultanate of Rum (and perhaps even of Cilician Armenia and Antioch) was envisaged, since Isaac would scarcely have exposed himself to the certain ravages of the crusading army without specific promises of substantial territorial compensation. Saladin, who greatly feared Barbarossa, would have had no hesitation in giving away someone else's territory in return for the destruction of the German army. The Byzantines also invited Saladin to send a new religious embassy, in place of the one captured by the Genoese, to inaugurate the *khotba* (Muslim invocation) in the name of the Abbasid caliph at the mosque in Constantinople. Saladin was naturally eager to comply, and so, in addition to an ambassador, sent an imam, a pulpit, and several muezzins and readers of the Koran. They were well received, and the first *khotba* took place in the presence of a crowd of Muslim merchants and travellers.[16]

When Isaac's envoy died in Syria, probably during the latter part of the summer of 1189, he sent another to complete the negotiations. Isaac hoped to secure military assistance from Saladin, for Frederick Barbarossa was experiencing little difficulty in handling the Byzantine forces which opposed him, and the emperor thought news of these events would already be reaching Syria. Guerrilla opposition had harassed the German emperor from the moment he entered the Byzantine Empire at Branitchevo. Between Nish and Sofia he drove a Byzantine army from its fortifications; near Philippopolis he again defeated Isaac's forces. Having obtained definite information of the captivity of the bishop of Münster's embassy, Barbarossa undertook to compel its release by devastating Thrace from Enos to Thessalonica. Although the bishop and his companions were freed (about 20 October 1189), Isaac remained true to Saladin and refused to allow the Germans passage to Asia; in mid-November he wrote them that Thrace was a deathtrap from which they could never escape. Frederick thereupon ex-

---

Constantinople, which may well have been the embassy of 1188 or 1189, by a ship belonging to Symon Musonus. In Constantinople the court seized 3000 hyperpers from him, and the Great Logothete and Sebastos Comanus (Comnenus? Chumnos?) threw him in prison. He was only released by giving his brother and nephew as hostages; they died of privations in prison. Meanwhile, the court forced him to carry some Hungarians overseas (*i.e.*, to the Holy Land), for which service the treasurer promised him thirteen hundred hyperpers, of which he received only six hundred petty bezants. The circumstance that Symon had to transport Hungarians (with whose king Isaac was allied by marriage and by policy) to the Holy Land suggests a date during the Third Crusade, and Saladin is not known to have sent any full-scale embassy to Constantinople between the religious one of August–September 1189 and the one destroyed by pirates in 1192. The reason for Symon Musonus' sufferings is not clear; was he held responsible for allowing the capture of the pulpit in 1188?

[16] On the treaty and Isaac's embassy, see Dölger, *Regesten*, Nos. 1591 and 1593. On the arrival of the embassy and Saladin's religious embassy, see Baha ad-Din ibn Šaddad [Bohadin], *The Life of Saladin*, trans. C. R. Conder, Palestine Pilgrims' Text Society, No. 32 (London, 1897), pp. 198–199; Abu Šamah, *Livre des deux jardins*, pp. 471–472, who misdates the events to 1190; the genuineness of the clause respecting Cyprus is shown by al-Fadil's reference to it, quoted *ibid.*, p. 510.

mere recollection of the Byzantine fleet sent against Cyprus in 1187. To Saladin, however, opposition to the impending Third Crusade was vital: not only did Isaac, at his behest, seize and imprison Latins in Constantinople who took the Cross, but he also agreed to oppose any army which tried to pass through his dominions. In return Saladin promised to give him the entire Holy Land, a prize for which the Byzantines had struggled throughout the twelfth century, and for which Andronicus had also negotiated. The French embassy's report from Constantinople, written shortly after Conrad's letter, was able to add that the Muslim envoys were received in the emperor's palace with more honor than was accorded anyone else. The embassy also asserted that on the very day their messenger set out, Isaac ordered the expulsion of all Latins from the empire; if this proclamation, which is unconfirmed elsewhere, actually was issued, it was shortly rescinded or modified, for during the Third Crusade the presence of Venetian traders, Frankish mercenaries, and Latin civil servants in the Eastern Empire is well attested. Yet by imprisoning would-be crusaders in Constantinople, Isaac openly committed himself to a policy of hostility to the Western effort to recover Jerusalem.[14]

Whether the final terms of the military alliance were concluded by the embassy Saladin sent in 1188, or by one the following year, cannot be precisely determined. Emissaries of the Saracen ruler were in Constantinople in June 1189, at the moment of crisis in Isaac's relations with Frederick Barbarossa. When in 1188 the German emperor decided to participate in the Third Crusade, he announced to Isaac his intention of passing through the Byzantine Empire on the way to Syria. Isaac's envoys agreed to allow his passage, furnish markets for the crusaders, and make provision for transport across the Straits; at no time, however, did they ask for hostages to ensure the good behavior of the Germans. This omission, contrary to previous Byzantine practice, suggests that even then Isaac was meditating hostile action. Not only was he already deeply committed to Saladin, but he also feared lest Barbarossa's forces attack his capital to avenge the numerous affronts Manuel had offered their master and also the Latin Massacre of 1182. Shortly before Barbarossa set out (11 May 1189), he despatched the bishop of Münster with other leading German magnates to announce to Isaac his forthcoming arrival in Constantinople. About the middle of June, this embassy arrived and soon was imprisoned, probably at the insistence of Saladin's representatives; in any case, the envoys' horses and other possessions were given to the Saracens. By unlawfully seizing ambassadors, Isaac definitively committed himself against Barbarossa and his crusade.[15]

[14] Benedict of Peterborough, *Gesta regis Henrici*, II, 51–53; Roger of Wendover, *Flores*, I, 153–154; Röhricht, *Regesta*, Nos. 676 and 688.

[15] Ansbert, *Hist.*, pp. 15–16; *Hist. peregrinorum*, pp. 129–130; Bishop Dietpold of Passau's letter in Magnus, *Chron.*, p. 510. See also: Cognasso, "Isacco II," *loc. cit.*, pp. 260–263; K. Zimmert, "Der deutsch-byzantinische Konflikt vom Juli 1189 bis Februar 1190," *Byzantinische Zeitschrift*, XII (1903), 43–44.

A later Genoese source, the instructions issued in 1201 to Ottobono della Croce, in Sanguineti and Bertolotto, "Doc. gen.," *loc. cit.*, pp. 472–473, refers to the transportation of an embassy of Saladin to

prisoner on whom it was tested) were apparently for distribution to Western crusaders passing through Byzantine lands; the chronicles of Frederick Barbarossa's crusade contain a number of stories concerning Byzantine attempts to destroy the Germans by such means.[12]

Among Saladin's gifts on this occasion also was a *maumeria*, which the emperor was to set up and cause to be venerated for the honor of the Saracens, as he had promised. The Latin word *maumeria* is clearly a rendering of the French *Mahomerie*, something connected with the Muslim religion; it seems to have been a *minbar* or pulpit with steps leading up to it. Throughout the ensuing negotiations with Isaac, Saladin's concern for maintenance of Islamic worship and the fittings of the mosque in Constantinople was manifest, as a counterpart to Isaac's desire to have the Greek rite practiced in the churches of the Holy Land. On this occasion, however, Saladin's pulpit did not reach Constantinople; the Genoese captured the ship taking this so-called "idol" to the Byzantine capital, and brought it to Tyre. Because the pulpit formed a concrete piece of evidence for the alliance between the emperor and the sultan, Conrad of Montferrat (who ruled in Tyre) circulated an announcement of its capture throughout Europe, and an embassy sent by Philip II of France to Constantinople incorporated the news in an information bulletin designed to encourage recruitment for the forthcoming crusade. In the autumn of 1188 Isaac's opposition to the crusade became public knowledge in Western Europe.[13]

By 20 September 1188, when Conrad of Montferrat wrote his letter reporting the pulpit's capture, he was sufficiently well-informed to be able to outline the principal provisions of the alliance. Saladin had turned over all churches in conquered Palestine to the Orthodox, and Isaac was to accept Saladin's form of Muslim worship in the Constantinopolitan mosque. In connection with the siege of Antioch, Isaac was to send a hundred galleys to assist Saladin, so Conrad declared; this allegation may reflect a real promise of naval assistance, or be a

[12] Magnus, *Chron.*, p. 512; on the alleged attempts to poison Barbarossa's troops, see Ansbert, *Historia de expeditione Friderici imperatoris*, ed. A. Chroust, in *Quellen zur Geschichte des Kreuzzuges Kaiser Friedrichs I.*, MGH SSRG, N.S., v (Berlin, 1928), 54–55, and *Historia peregrinorum*, A. Chroust, ed., *loc. cit.*, pp. 146–147.

[13] The anonymous letter in Magnus, *Chron.*, p. 512; Conrad of Montferrat's letter (20 September 1188) to Archbishop Baldwin of Canterbury, in Roger of Wendover, *Liber qui dicitur Flores historiarum*, ed. Henry G. Hewlett, Rolls Series (London, 1886–1889), I, 153; the French embassy's report (autumn 1188), in Benedict of Peterborough, *Gesta regis Henrici*, ed. William Stubbs, Rolls Series (London, 1867), II, 52, as corrected by the version included in Ralph of Diceto, *Opera historica*, ed. William Stubbs, Rolls Series, II (London, 1876), 60, which reads "Januensibus" for Benedict's "Venetiensibus."

The identity of the "maumeria" sent by Saladin and the "idolum" taken by the Genoese before 20 September 1188 rests on the fact that Saladin had to dispatch another religious embassy with a pulpit in the summer of 1189. The identification of the "maumeria" as a *minbar* or pulpit was made by Röhricht, *Königreich Jerusalem*, p. 496, n. 2 (he does, however, confuse this capture with the piracy of Guglielmo Grasso in 1192). The statement that this was a picture of Saladin, made by S. O. Riezler, "Der Kreuzzug Kaiser Friedrichs I.," *Forschungen zur deutschen Geschichte*, x (1870), 35, n. 4, is clearly incorrect. On the shape of the pulpit, see E. Diez, "Minbar," *Encyclopaedia of Islam*, III (Leiden and London, 1936), 499–500.

stantinople, and renewed the alliance. He was particularly gratified by his brother's release from the crusaders' prison.[8]

Isaac replied to Saladin with a similar display of splendid gifts: four hundred breastplates, four thousand iron lances, five thousand swords (all of which arms he had taken in his defeat of William II's invading army), twelve samite cloths, two golden cups, two imperial robes, and three hundred beaver pelts; he made gifts of samite and imperial vestments to Saladin's brother and three sons. Most important of all, however, the envoys Sovestot (Sebastos?), Aspion, and the aged Arabic interpreter Constantius brought the sultan a gold crown and Isaac's declaration: "I send you this because in my opinion you now are and shall be rightfully a king, with my assistance and God willing,"[9] a symbol and words whereby (however unrealistically) the emperor sought to make evident his suzerainty over Saladin.

The envoys sailed to Acre, where on 6 January 1188 Saladin, abandoning the siege of Tyre, held a full court for them and in the presence of his sons, nobles, and officials confirmed anew the alliance. The messengers were especially eloquent in thanking Saladin for releasing Alexius Angelus: "Through you he has been saved and freed from the hands of the Latins, who held him in prison on your account."[10] Saladin inquired of the envoys concerning conditions in the empire, the war with the Vlachs, and the wars of other (evidently Western) rulers. The most important news which the Byzantines brought was that a new crusade was being summoned in the West to rescue the Holy Sepulchre.[11]

After some delay, during which Saladin probably received confirmation from elsewhere of the gathering of the Third Crusade, he determined to bind Isaac more closely to him in order to secure his support against any part of the crusade which might pass through the empire. He therefore sent back the Byzantine embassy, together with his own ambassadors charged to negotiate such an agreement. His gifts were more numerous than before: twenty Latin chargers, large boxes of gems and balsam, three hundred strings of jewels, a chest full of aloes, a hundred musk-sacs, twenty thousand bezants, a baby elephant, a musk-deer, an ostrich, five leopards, thirty quintals of pepper, numerous other spices, a huge silver jar of poisoned wine, and great quantities of poisoned flour and grain. These allegedly deadly foods (one whiff of the wine was said to have slain a Latin

[8] Magnus, *Chron.*, pp. 511–512; Dölger, *Regesten*, No. 1579 (see above, n. 4).

[9] Magnus, *Chron.*, p. 512.

[10] Magnus, *Chron.*, p. 512.

[11] Abd al-Rahmen ibn Isma'il, called Abu Šamah, *Le livre des deux jardins: Histoire des deux règnes, celui de Nour ed-Dîn et celui de Salah ed-Dîn* (A.-C. Barbier de Meynard, ed. and tr.), RHC HOr, IV (Paris, 1898), 389, quotes a letter of al-Fadil, Saladin's minister, to Seif al-Islam in Yemen, dated 584 A.H. (1188–89), reporting the receipt of news from the ruler of Constantinople, from Alexandria, and from North Africa concerning the gathering crusade. There is no reason to suppose a further embassy from Isaac to bring Saladin this news (as does Dölger, *Regesten*, No. 1584, dated about late 1188—by which time Saladin would have received plentiful news of this impending development), but such a Byzantine embassy is not out of the question. Dölger's only evidence is the letter of al-Fadil, cited above.

Latin states in order to secure Alexius' release. In the spring of 1187 the Byzantines sent a fleet to attack Cyprus. In the Holy Land, this armada was interpreted as naval support for Saladin's offensive, but the Byzantine forces were defeated on Cyprus by Isaac Comnenus and the fleet was routed by the Sicilian Admiral Margaritone. In the meantime Saladin, motivated by Latin injuries rather than by Isaac's encouragements, attacked the kingdom of Jerusalem, capturing the capital and most of the coastal cities. At the fall of Acre, Alexius Angelus was released from his prison and returned to Constantinople on a Genoese ship; in 1201 he had still not paid his fare.[6]

In one respect Isaac Angelus' friendship may have furthered Saladin's conquest of the Holy Land. The early surrender of Jerusalem was brought about by the knowledge that, out of hatred for the Latins, the Greek Orthodox residents (in Syria commonly called Melkites) were ready to betray the city. The Muslim ruler was in communication with them through one of his aides, Joseph Batit, a Melkite born in Jerusalem, who arranged for the opening of the gates by his coreligionists. The Latin leaders, aware of the Melkites' disaffection, and perhaps of the plot itself, made haste to yield the city. There is no known or necessary connection between Isaac Angelus and the Melkites' actions, but it may be noted that Saladin's alliance with the Byzantines involved the conversion of the existing Latin churches in the Holy Land to the Greek rite; the Melkites of Jerusalem were more than likely to be informed of Saladin's promise and they clearly had no love for their Frankish neighbors.[7]

Saladin, rejoicing in his successes over the crusaders, sent Isaac an embassy to announce his good fortune. As was customary in oriental diplomacy, the ambassadors brought splendid gifts for the Byzantine emperor: an elephant, fifty Turkish saddles, a jar of balsam, a hundred Turkish bows with quivers and arrows, a hundred captive Byzantines from Greece, a thousand and fifty Turkish or Turkoman horses, and a quantity of valuable spices. Isaac was delighted with the news and the gifts, housed the envoys in a splendid palace in the center of Con-

[6] Magnus, *Chron.*, pp. 511–512; Nicetas, *Hist.*, pp. 483–485; Isidoro La Lumia, *Storie siciliane*, I (Palermo, 1881), 535–537; Ferdinand Chalandon, *Histoire de la domination normande en Italie et en Sicile* (Paris, 1907; reprinted New York, 1960), II, 415; Cognasso, "Isacco II," *loc. cit.*, pp. 255, 257–258. The Genoese ship is mentioned in the instructions of 4 May 1201 to the Genoese envoys, in Angelo Sanguineti and Gerolamo Bertolotto, ed., "Nuovo serie di documenti sulle relasioni di Genova coll' Impero bizantino," *Atti della Società Ligure di Storia Patria*, XXVIII (1896–1898), 471 (see the textual emendation by Cognasso, "Isacco II," *loc. cit.*, p. 257, n. 5).

[7] This information comes from an anonymous *History of the Patriarchs of Alexandria* (*Siyar-al-abâ-al-Batarikah*, contained in Paris. MS. ar. 302), which has been partially published in translation in the notes to Edgar Blochet's "Histoire d'Egypte de Makrizi," *Revue de l'Orient Latin*, IX (1902), 29, n. 3 (p. 30 for the cited material) — the separate publication (Paris, 1908) is not available to me —, and in less complete form in Joseph T. Reinaud, ed., *Extraits des historiens arabes*, which forms Vol. IV of Joseph Michaud, ed., *Bibliothèque des Croisades* (Paris, 1829), p. 207, n. 1. On the author, an early thirteenth-century Jacobite Arab who is markedly favorable to Saladin, see Reinaud, p. xxii. See also René Grousset, *Histoire des Croisades et du Royaume franc de Jérusalem*, II (Paris, 1935), 811–812. Bar Hebraeus, *Chronography*, trans. E. A. Wallis Budge, I (London, 1932), 327, testifies that soon after the conquest of Jerusalem, Saladin let the Greek Patriarch administer the church.

on the other hand, was expanding, and his imminent triumph over the crusader states was perceptible to all. The subordination of the Arab world to the Byzantine, at this point, was unthinkable; yet the demand for it represented a traditional Byzantine view that for the emperor, God's earthly representative, to treat with anyone else on a basis of equality was inconceivable. That Andronicus was indulging in more than a rhetorical flourish is shown by his demand for Jerusalem and the coast of Palestine. Saladin apparently rejected the Byzantine claim to suzerainty.

Saladin's response to Andronicus was received by the new emperor, Isaac II Angelus, who, with the Normans threatening the capital itself, was delighted to find an ally. He confirmed the treaty (presumably as revised by Saladin) in a chrysobull and summoned his brother Alexius back from Saladin's court.[4]

Alexius Angelus was still a guest of the sultan, as Isaac had formerly been. When, about 1186, Isaac recalled his brother, he set out, but as rumor of the Byzantine-Muslim alliance had already reached the crusader states, when he was passing through Acre the count of Tripoli seized and imprisoned him. During his confinement the Pisans assisted him with loans, which he later neglected to repay.[5] On learning of this action, Isaac wrote to Saladin urging him to attack the

[4] Magnus, *Chron.*, p. 511. Dölger, *Regesten*, No. 1579, dates this treaty to late 1187 (after the fall of Jerusalem), but the letter in Magnus, *Chron.*, pp. 511–512, makes a clear distinction between the two embassies.

[5] The only detailed account of Isaac and Alexius' sojourn with Saladin is the letter in Magnus, *Chron.*, p. 511–512; the Pisans' loans are mentioned in Isaac's chrysobull to Pisa (February 1192), in Giuseppe Müller, ed., *Documenti sulle relazioni delle città toscane coll' Oriente cristiano e coi Turchi fino all' anno MDXXXI* (Florence, 1879), p. 41, 50 (Dölger, *Regesten*, No. 1607); Alexius' presence in Syria is also attested by: Nicetas Choniates, *Historia*, Immanuel Bekker, ed., Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonn, 1835), p. 703; Geoffroi de Villehardouin, *Conquête de Constantinople*, ed. Natalis de Wailly, 3rd ed. (Paris, 1882), p. 40; *idem*, ed. Edmond Faral (Paris, 1938–1939), I, 70; Robert de Clari, *La conquête de Constantinople*, ed. Philippe Lauer (Paris, 1924), p. 21, 28–29. Evidence for Isaac's visit to Syria is contained in John Kamateros, "*Λόγος ἀναγνωσθεὶς συνήθως ἐν τῇ ἑορτῇ τῶν φώτων τοῦ σοφωτάτου ῥήτορος καὶ ὑπερτίμου κυροῦ Ἰωάννου τοῦ Καματηροῦ*," W. Regel, ed., *Fontes Rerum Byzantinarum*, I (St Petersburg, 1892–1917), 250–252, which relates how Isaac fled from Andronicus through inhabited cities, desert places, and mountains torn by chasms (evidently the Taurus), how God made all smooth before him, and how he had a vision of Jacob's ladder while asleep in Harran (whose name, the orator declares, might be rendered "on the earth or on the ground" *loc. cit.*, p. 252). Harran is a town in Syria, near Edessa, on a route which might be used by one wishing to avoid Armenia and the Latin territories. This speech, which alludes to Andronicus' downfall and the defeat of the Normans, was probably delivered on 6 January 1186; the analysis of the part of the oration here referred to in Max Bachmann, *Die Rede des Joannes Syropulos an den Kaiser Isaak II. Angelos (1185–1195) (Text und Kommentar) nebst Beiträgen zur Geschichte des Kaisers aus zeitgenössischen rhetorischen Quellen* (Munich, 1935), pp. 43–46, omits the reference to Harran and apparently misconstrues this part of the speech: Isaac's flight across Constantinople (11 September 1185) would hardly be described in these terms. Isaac must have been in Syria during the early part of 1183 (he was at Nicaea, leading a revolt against Andronicus, by September 1183); see Nicetas, *Hist.*, pp. 345, 349. On Isaac and Alexius in Syria, see also Wilhelm Heyd, *Histoire du commerce du Levant au Moyen-Age*, trans. Furcy Raynaud, I (Leipzig, 1885), 230, n. 2; Francesco Cognasso, "Un imperatore bizantino della decadenza: Isacco II Angelo," *Bessarione*, XXXI (1915), 257. V. Laurent, "Rome et Byzance sous le pontificat de Célestin III (1191–1198)," *Echos d'Orient*, XXXIX (1940–1942), 49, 57, argues that Isaac's residence in Syria was the basis of his alliance with the Muslims; there is no evidence, however, for his view that the alliance persisted under Alexius III and caused hesitations in the papacy's dealings with that emperor.

with earlier ones. The efforts of Manuel Comnenus to recover lost provinces in Italy had alienated the Western Empire, the Norman kingdom of Sicily, and Venice with its powerful fleet. In 1182 the great massacre of resident Italians in Constantinople aggrieved Genoa and Pisa, whose citizens were the chief sufferers; they naturally thought of vengeance. All of these powers were spurred on by fugitives from the tyranny of Andronicus, especially members of the aristocracy and great landowning class. The king of Hungary struck across the Danube as far as Sofia. In 1185 William II of Sicily sent his armies across the Adriatic, accompanied by a Comnenus claimant for the throne who roused the prospect of revolt in his behalf. The Norman army captured and sacked Thessalonica, the empire's second city, and advanced on the capital itself. Beset on all sides and under the immediate pressure of this invasion and threatened rebellion, Andronicus turned to Saladin, hoping for tangible aid.[1]

In June 1185, accordingly, Andronicus sent an embassy to Saladin to recall their former friendship and to propose an alliance. Because Andronicus was emperor, Saladin was to do homage and render assistance whenever requested. Palestine would be conquered and divided, with the Byzantines receiving Jerusalem and the maritime cities except Ascalon. Asia Minor, if taken, would belong to the Eastern Empire, as far as Antioch and Armenia. In return for such assistance and territory, Andronicus doubtless promised aid to the Saracens in their struggle with the Latins of Syria. Saladin's exact response to these suggestions is unknown, but would seem to have been generally favorable; probably all territorial concessions were made dependent on the Byzantines' performance of their part of the treaty. Before Saladin's reply reached Constantinople, however, Andronicus was overthrown (12 September 1185) by a populace resentful over his failures in the Norman war.[2]

The demand of Andronicus, "that because he was emperor, he [Saladin] should do him homage,"[3] must have seemed both ridiculous and unacceptable to the ruler of Egypt and Syria. The weakness of the empire at that moment was everywhere manifest; not only were the Normans at Thessalonica, but also the Aegean was harried by Latin corsairs, Cyprus was in open and successful revolt, and the Turks and Hungarians were raiding across the frontiers. Saladin's power,

[1] For background on Andronicus' reign, see: Francesco Cognasso, "Parti politici e lotte dinastiche in Bisanzio alla morte di Manuele Comneno," *Memorie della Reale Accademia delle scienze di Torino*, 2nd Ser., LXII [Part 2] (1912), 213–317; John Danstrup, "Recherches critiques sur Andronicos Ier," Vetenskaps-Societeten i Lund, *Årsbok* (*Yearbook of the New Society of Letters at Lund*), 1944, pp. 60–101.

[2] The sole source for Andronicus' embassy to Saladin (Franz Dölger, ed., *Regesten der Kaiserurkunden des oströmischen Reichs von 565–1453*, Corpus der griechischen Urkunden des Mittelalters und der neueren Zeit, Reihe A, Abt. I [Munich and Berlin, 1924–1960], No. 1563) is the anonymous letter from the East in Magnus Presbyterus Reicherspergensis, *Chronica collecta a Magno presbytero—1195*, W. Wattenbach, ed., MGH SS, XVII (Hanover, 1861), 511 (Reinhold Röhricht, ed., *Regesta Regni Hierosolymitani MXCVII-MCCXCI* [Innsbruck, 1893–1904], No. 653). The question of the authenticity of this letter is discussed in the Appendix to this article. See also Reinhold Röhricht, *Geschichte des Königreichs Jerusalem, 1100–1291* (Innsbruck, 1898), pp. 493–494; Cognasso, "Partiti pol.," *loc. cit.*, pp. 296–297; Claude Cahen, *La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté franque d'Antioche* (Paris, 1940), pp. 424–425; Danstrup, "Andronicos Ier," *loc. cit.*, p. 96, n. 119.

[3] Magnus, *Chron.*, p. 511.

SPECULUM
A JOURNAL OF MEDIAEVAL STUDIES

Vol. XXXVII APRIL 1962 No. 2

THE BYZANTINES AND SALADIN, 1185–1192: OPPONENTS OF THE THIRD CRUSADE

By CHARLES M. BRAND

On the eve of the Third Crusade the chief Christian state in the East joined with Saladin, sultan of Egypt and Syria, to further their common interests, which involved opposition to the Latins in the Holy Land. To the West this conjunction appeared to be a violation of the tie of religion and a break with tradition, because from the moment of the irruption of Mohammed's followers from the Arabian peninsula warfare between Byzantines and Muslims had been almost continuous. In the eleventh century the Muslim Seljuks deprived the Eastern Empire of much of Anatolia. After the First Crusade Byzantium co-operated with the Westerners in the hope of establishing a protectorate over the crusader states in Syria and securing aid against the persistent Muslim encroachment upon its eastern frontiers. Yet Andronicus, last of the Comneni, and Isaac Angelus, his successor, reversed this policy, allied themselves with the crusaders' mightiest opponent, and even strove to eliminate Latin power from the Orient.

This rapprochement of ancient enemies was facilitated by some recent personal relationships and dictated by political necessity. Once, as an exile, Andronicus fled to Damascus and Baghdad, where he was befriended by Nur-ed-Din, Saladin's predecessor. Later Alexius Angelus and his younger brother Isaac, refugees from Andronicus' tyranny, were guests at Saladin's court; Alexius was still there when Isaac was raised to the throne by the Constantinopolitan mob. These rulers, accordingly, knew Muslim leaders and Muslim power.

In 1185 the Byzantines and Saladin were threatened by the same enemies, both Christian and Muslim. Saladin was confronted by the crusader states wedged between the two parts of his dominions. Cyprus, which had rebelled under Isaac Comnenus, was a potential adherent to the Latin cause, which would weight the balance significantly against Saladin; the Byzantines naturally hoped to recover this former province. In 1176 the decisive victory of the Seljuks at Myriokephalon gave them a firm hold on central Anatolia, where they posed a dangerous threat both to the Byzantine possessions on the Aegean and to Saladin's in northern Syria. Like Saladin, the Byzantines had much to fear from the West, and talk of crusades stirred unhappy memories of their experiences

النص بالإنجليزية:

The Byzantines and Saladin 1185- 1192 Opponents of the Third Crusade

Charles M. Brand

1962